جولة استجمامية مع الكتب

أريَاف حسين التميمي

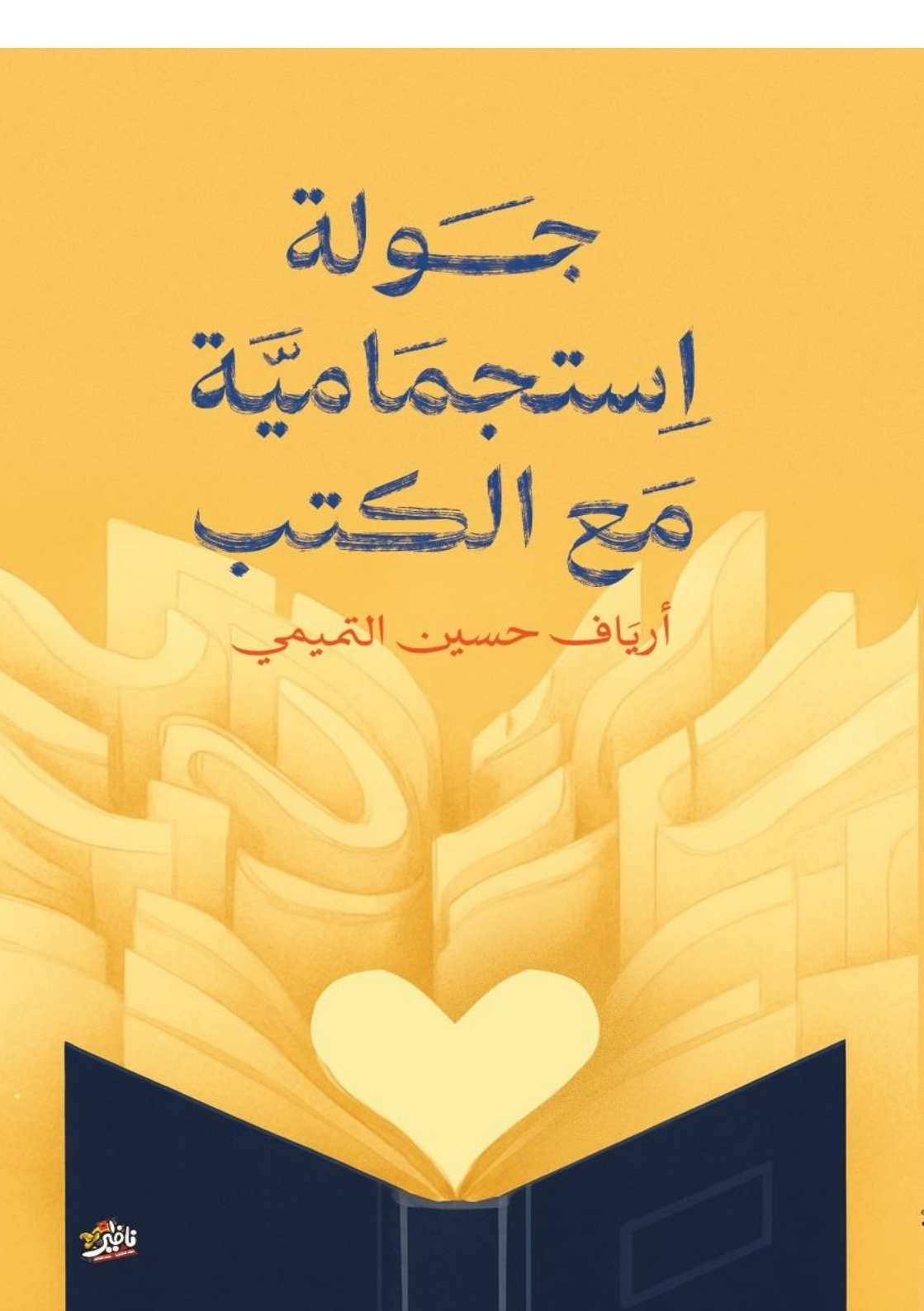

جولة استجمامية مع الكتب

جولة استجمامية مع الكتب

أرياف التميمي

أقبَعُ في منزلي معظم الوقت مُنعزِلة عن العالم وما يدور فيه، لم أسافر كثيرًا، ولم أرَ أوربا، ولم أُعايش العظماء ولا القادة ولا المجرمين؛ ولكني عبر القراءة أتجوَّل في عوالم مختلفة كثيرًا عن عالمي. حين أنظُر إلى حياتي أراها ضيِّقة والكُتب لا توسِّعها وتُزهِرها فقط، بل تُضيف إلى حياتي الكثير من الحيوات، فأصبحت "أُحب الكتب؛ لأن حياة واحدة لا تكفيني" كما قال عباس محمود العقاد.

الإهداء:

إلــى أبـــي ... ومن مثل أبـي؟!

الأيام: مذكرات الصبر والعناد

الأيام، كتاب مذكّرات جميل يأخذنا في محطّات عبر حياة الأديب المصري طه حسين، وقد كتبها بنفسه.

من هو طه حسين؟

أديب مصري لُقّب بعميد الأدب العربي، فقد بصره عندما كان صغيراً، درس في جامعة الأزهر ثمّ انتقل إلى فرنسا ضمن بعثة ليكمل تعليمه فيها، ولهُ كثير من المؤلفات.

حياة طه حسين:

عندما نسمع اسم طه حسين يتبادر إلى أذهاننا سعة علمه وإنتاجه الغزير للدرجة التي قد نستبعد فيها أن يكون شخصاً مثله قد عانى طفولة مليئة بالآلام، لكن طه حسين عاش طفولة مليئة بالألم، فقد تجرّع الألم بكؤوس عديدة؛ ألم الفراق بعد موت أخته الصغيرة وأخيه، أخوه مات بسبب الكوليرا، أما أخته فقد ماتت بسبب الجهل، كانت مريضة ولم تؤخذ إلى المستشفى، ربما كان من الممكن إنقاذها، بقليل من دواء يقره الطبيب، لكنه الجهل،

منبع كل بلاء، ووفاة الفتاة الصغيرة لم يكن المصيبة الوحيدة في حياة الكاتب التي سببها الجهل، بل حتى فقد بصره كان سببه الجهل أيضاً.

إذاً كيف لإنسان لا يبصر أن يكون أديباً؟ إنسان لن يستطيع أن يقرأ! إنّها العزيمة، بالإضافة إلى أنّه كان مُحاط بناس يحبونه، ويبذلون جهدهم ووقتهم لأجله! فقد وجد من يمسك بيديه إلى دروس العلم، ومن يقرأ عليه الكتب، ومن يدفعه إلى حفظ القرآن، لم يكن ما توصل إليه طه حسين هو حصيلة جهد وتعب وفضل طه حسين فقط، لكن كل ما وصل إليه كان نتيجة تعب وجهد واصرار طه حسين، ووالد طه حسين، وإخوة طه حسين، وزوجة طه حسين، وأصدقاء طه حسين.

عقده النفسية:

عانى طه حسين من بعض العقد النفسية، فقد كان مثلاً يكره الأكل أمام الناس، بسبب موقف قديم حدث له أمام أهله وأدى إلى ضحكهم عليه، وكان في مسكنه في الأزهر يخاف من الجلوس بمفرده، لكنه لا يتشجع ويخبر أخاه برغبته في مصاحبته إلى الغرفة التي يجتمعون فيها ويشربون الشاي، كان يكره عموماً أن يجلس وحيداً.

العناد:

شدني في الرواية شخصية طه حسين العنيدة والتي لا تيأس ولا تستسلم وأظن أن ذلك أحد الاسباب الرئيسية التي قادته إلى النجاح وقد رأيت ذلك في عدة جوانب:

- كان يعترض على شيوخ الأزهر وينتقدهم بالرغم من أنه كان يواجه منهم ردوداً قاسية واعتراضات على انتقاده، لكنه لا ييأس، بل استمر في الاعتراض على كل ما لا يعجبه، بل ويصل لدرجة أن ينتقد بعضهم في الصحف.
- استمر في الأزهر سنوات طويلة، تقريباً ثمان سنوات، رغم الصعوبات التي كان يعاني منها، فقد كان مثلاً في البداية يقضي معظم وقته في غرفته في الربع وحيداً خائفاً عند غياب أخوه ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدراسة، وقد أمضى فترة طويلة في الأزهر بالرغم من أنّه لا يستسيغ شيوخها ولا ما يتم تدريسه هناك.
- قدّم للحصول على البعثة إلى باريس وتم رفضه، وقد كتب الرسالة الأولى وتمّ رفضها، فكتب الثانية ورُفضت أيضا فكتب الثالثة، كان يستخدم أسلوب الإقناع والحجج ليتم قبوله في البعثة.

- عندما عاد إلى القرية من الأزهر كانت أفكاره جديدة وغريبة بالنسبة للمجتمع الذي كان فيه، استنكر أهل قريته ذلك، لكنه لم يتراجع أو يستسلم بل استمر في طرح أفكاره غير المقبولة.
- له موقف يجمع بين العناد والطرافة، وهو حلمه بالذهاب إلى باريس، حيث كان يخبر أخواته بأنه سيذهب إلى باريس وسيتزوج فتاة من هناك وسيدللها وستكون مثقفة وليست جاهلة مثلهن، عندما كان يحلم بذلك الحلم لم تكن لديه النقود الكافية للذهاب إلى باريس، ولم يكن أيّاً من أفراد أسرته على صلة بفرنسا، بالإضافة إلى ذلك فقد كان كفيفاً، فلم تكن فكرة السفر سهلة إطلاقاً، كُنَّ يتضاحكن عليه فيقول لهنّ اضحكن اليوم وسترين غداً، وسبحان من حوّل الحلم إلى حقيقة، فقد سافر بالفعل بعد سنوات إلى باريس، وتعرّف هُناك على فتاة فرنسية مثقّفة اسمها: "سوزان بريسو" وتزوجها.

الصبر:

الجميل في الكتاب أنّه يُرينا صورة واضحة لأهمية الصبر في الحياة، فلو كان هُناك سلاح قوي تمسّك به طه حسين، وكان السبب فيما توصّل إليه بتوفيق الله، لكن ذلك السلاح هو الصبر.

إنسان لا يرى، ويُعاني من الخوف والخجل، لم يكن ليصل ولا لربع ما وصل إليه لو لم يكن صبور، وربّما بالغ في بعض الأوقات في الصبر، وكان صبره سلبي في بعض المواقف.

الخاتمة:

ختاماً، قد يبدو من كل مما سبق أنّ حياة طه حسين كانت حزينة بالمجمل، لكن من يقرأ هذه المذكّرات، سيجد بين السطور الكثير من الأمل وحب الحياة، ساعد في استمرارهما الشغف وحب العلم، فعندما وضع طه حسين تركيزه على ما يريد، واستغل ما يستطيع حقق الكثير وهو أعمى، ليُثبت لنا أنّ العمى ليس آخر الدنيا، ولا هو عائق أمام ما يريده الإنسان طالما أنّه يحظى باهتمام وتعاون من حوله.

المذكّرات رائعة، كُتبت بقلم متواضع، فنراه شخص قلق مضطرب منطوٍ على ذاته، لا يكاد يعبّر عن حاجياته ويتجنّب الوقوع في مواقف محرجة بسبب عماه، لتحفظ قصة كفاح ظهرت نتائجها فيما خلفته لنا من مؤلفات، وتُعلمنا أنّ قسوة الحياة وآلامها لا تمنع من تحقيق ما يُريده الإنسان إذا وُجد الصبر والعناد ومساعدة من حوله له.

سيّدات القمر: أوّل رواية مترجمة من العربية تفوز بجائزة المان بوكر العالمية

في الماضي، كنت أحاول تجنّب قراءة الروايات لأني أرى فيها مضيعة للوقت، لكنّ محبتي لها لم تمكنِّي من تركها، وفي أحد الأيّام وقعت في يدي رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور والتي تدور أحداثها في غرناطة مصوّرة لنا الوضع الصعب الذي عاشه المسلمون بعد السقوط، ومن يومها تغيّرت نظرتي كلياً للروايات، ووجدت أنّه ليس جميع الروايات مضيعة للوقت، فالأعمال الأدبية المميزة من الممكن أن تطلعنا على أبعاد أعمق للحياة وترينا نظرة أقرب لتاريخنا المجيد، فأنا مثلاً لم أشعر بمعنى أن تسقط دولة إسلامية عظيمة، ولم أكن لأعرف مدى الألم والمعاناة التي عاشه المسلمون أثناء ذلك السقوط إذا اكتفيت بقراءة كتب التاريخ.

وعلى نفس المنوال اطلعت على تاريخ عُمان والتغييرات التي حدثت في تلك البلاد منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين عبر رواية "سيّدات القمر"، وفي الواقع لم يكن اختياري لقراءتها عن إرادة لمعرفة ماضي عُمان وحاضرها، ولكن كان هناك سبب وحيد وهو فضولي لمعرفة

ما إن كانت الرواية تستحق الفوز الذي حصلت عليه في جائزة المان بوكر لعام ٢٠١٩، خاصة أنها أوّل رواية مترجمة من العربية تفوز بهذه الجائزة، ومنذ الفقرة الأولى الافتتاحية للرواية وجدتُ نفسي عالقة بها كأرنب ضئيل في فم ذئب، لم تأخذني الرواية بيدي هوناً إلى مجرياتها، وإنّما جرّتني بأقصى سرعة إلى الداخل، لأجد نفسي راكضة بتلهّف خلف الكلمات والفقرات منتشية بما فيها من وصف مبهر وأحداث كوميدية بعضها أليم، والكثير من الفقرات كنت أحتاج إلى قراءتها أكثر من مرة، ليس لفهمها أكثر، وإنما للاستمتاع بتذوقها والتلذذ بأسلوبها لأقصى درجة، كنتُ أعلق بين الكلمات والأحرف، وأتشبّث بها رافضة الرحيل عنها للفقرة التي بعدها، بل أريد أن أعيش فيها إلى الأبد، حيث إن أسلوب الكاتبة الفكاهي، فكاهة غير مبتذلة، لم أجد له نظيراً في رواية من قبل.

تدور أحداث الرواية الواقعة في ٢٢٣ صفحة في منطقة العوافي في دولة عُمان، والقليل منها في مسقط، عبر الماضي حيث البساطة ووجود الرقيق وقلة الاهتمام بالعلم، والحاضر الأكثر تقدماً واهتماماً بالعلم ونبذًا للعبودية.

أثناء قراءتي للرواية التصقت بذاكرتي الكثير من العبارات والمواقف العفوية الجميلة الخالية من التكلّف وغير القابلة للنسيان، أشارككم بعضها

هنا –وإن كان تذوقها الحقيقي يأتي من خلال قراءتها داخل السياق: "كان طويلاً لدرجة أنه لامس سحابة عجلى مرقت في السماء، ونحيلاً لدرجة أنّ ميا أرادت أن تسنده من الريح التي حملت السحابة بعيداً"، "أنا نجيّة.. يسموني القمر وأريدك أنت.."، "آه يا ظروف.. حلوة يا ظروف.. ناعمة يا ظروف".

عن الكاتبة:

كاتبة الرواية جوخة الحارثي، هي أكاديمية وروائية عمانية حاصلة على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة إدنبرة البريطانية، كتبت بالإضافة إلى رواية "سيّدات القمر" رواية "نارجة"، التي حصلت على إحدى الجوائز المحلية العمانية، ورواية "حرير الغزالة" التي صدرت عن دار الآداب للنشر في بيروت (٢٠٢١)، أيضاً رواية "منامات" والكثير من القصص القصيرة والكتب الأخرى، وقد تمّت ترجمة أعمالها إلى الكثير من اللغات.

تسمية الرواية:

الجدير بالذكر أنّ الرواية ركّزت بشكل أكبر على حياة النساء، وإن احتوت الكثير عن حياة الرجال أيضاً، أظهرت بوضوح المعاناة التي عشنها في الماضي والحاضر، قصص الكفاح، والحب، والانكسارات، والكيد، وربما لذلك تم تسمية الرواية "سيّدات القمر"، مع العلم أنه عند ترجمة

الرواية إلى اللغة الإنجليزية لم تتم ترجمة نفس الاسم وإنما تمّ اختيار اسم آخر وهو "**Celestial Bodies**" أي: "الأجرام السماوية"، وسبب تغيير الاسم عند الترجمة هو: "أن الترجمة الحرفية للعنوان تعطيه صلة غير مرغوب بها بأشياء ثقافية في القرن التاسع عشر في إنجلترا عن نساء القمر: نوعية معينة من النساء، وهذه الصلة غير موجودة في الثقافة العربية"، حسب ما ذكرت الكاتبة في إحدى المقابلات.

الشخصيات:

لا تدور الرواية حول شخصية محورية واحدة؛ وإنما العديد من الشخصيات، وتلك الشخصيات متفردة، فهي ليست كتلك التي نراها مراراً وتكراراً في صفحات الروايات والأفلام، بل هي شخصيات نتعرف عليها للمرة الأولى، تمثّل واقعاً بشدة رصينة، للدرجة التي تجعل من غير الممكن التصديق بأنها شخصيات رواية وليست شخصيات حقيقية، فالتفاصيل التي تضعها الكاتبة، والوصف الخارجي والداخلي لكل شخصية يجعلها حقيقة، أي يحضرها إلى الحياة، شعرت وأنا أقرأ الرواية كأنّ ظريفة امرأة عشت معها فترة طويلة، أستطيع أن أعرف رأيها في أي موضوع أقوم بمناقشته، أستطيع أن أميّزها من بين عشرات النساء، أستطيع أن أتعاطف معها، وأفهم ما تشعر به، وهي أكثر شخصية علقت في ذهني.

شخصيات الرواية بشكل عام متعددة وكل شخصية مختلفة تماماً عن باقي الشخصيات؛ هناك التاجر الذي لا يقدّر قيمة العلم، وهناك الدكتورة التي تمر بتجربة حب فاشلة، وهناك المرضى النفسيون، والمجرمون، هناك البدو والحضر، والعبيد والأحرار.

الحبكة:

وإذا أتينا إلى حبكة الرواية فعندما قرأت تعليقات القراء العرب على موقع "**Goodreads**" وجدت أن هناك من انتقد الرواية بسبب عدم وجود حبكة فيها، وقد تعجّبت لقراءة ذلك النقد، ففي الحقيقة وجدت في الرواية عدة حبكات للكثير من شخصيات الرواية المتعددة، حيث توجد لها الكثير من الأحداث، التي تبدأ بسيطة ومستقرة، ثمّ تتابع أحداثها وتصبح أكثر تعقيداً وتبلوراً، لكن لم تحصل جميع الشخصيات على حبكة فبعض الشخصيات تبدأ بوتيرة معينة وتستمر على نفس الوتيرة دون صعود أو نزول أو نتائج نهائية، لتكون نهاياتها متوقّعة في بعض الأحيان وصادمة في أحيان أخرى، وعلى كل حال الحبكات لم تُكتب بطريقة تقليدية، وإذا تحدّثنا عن قوّة الحبكات ومدى شدّها للقارئ، فأنا لا أرى أنّ الحبكات قويّة جداً وجاذبة، وما جذبني في الرواية أكثر هو الأسلوب.

ضمير السرد في الرواية الراوي:

يوجد في الرواية راويان: الراوي العليم، والراوي المتكلّم على لسان أحد الشخصيات اسمه عبد الله، والذي يحكي معظم الأحداث من على متن الطائرة، وكانت الكاتبة تتنقل بين هذين الراويين خلال فصول الرواية، ولأنّ أسلوب الكاتبة سلس وجميل كان من السهل جداً التنقّل بين الراويين دون تشتت أو ارتباك.

ختامًا:

رواية "سيّدات القمر" من وجهة نظري كقارئة رواية عظيمة، بالرغم من أنها ليست من تلك الروايات الملحمية، وأسلوبها السلس والفكاهي ممتع جداً وجاذب للقارئ الذي يحب الغرق فيما يقرأ، وهو ما شدّني عبر الأسطر بالنيابة عن الحبكة التي لم تكن بتلك القوّة، لكنّ الأسلوب قد غطّى دورها بجدارة وأنصح بقراءتها بشدة، وأُعطيها خمس نجوم، وأعتبرها من أفضل ما قرأت في الأدب.

مباريات الجوع:عبثية الحياة في ظل الأنظمة الديكتاتورية

في عالم خيالي مليء بالوحشية، وحيث يكافح الناس للحصول على أدنى مقوّمات المعيشة، إذ أنّهم يعيشون في حالة فقر، وانعدام أمان ويعمل الرجال في مناجم الفحم، في ذلك العالم تأخذنا الكاتبة سوزان كولينز في رحلة بالغة الصعوبة داخل إحدى الغابات، حيث تُدار معركة عبثية يذهب ضحيّتها فتية وفتيان في مقتبل العمر، تتم محاولة تجريدهم من كل معاني الانسانية والإخاء والتعاون، ولا يبقى أمامهم سوى خيار واحد وهو القتل.

الكاتبة:

سوزان كولنز هي كاتبة أمريكية عملت في كتابة برامج وقصص الأطفال، والروايات الخيالية. بيعت أكثر من مائة مليون نسخة من كتبها حول العالم. وقد بقي كتابها "مباريات الجوع" في قائمة الكتب الأكثر مبيعاً لست سنوات لدى مجلة "نيويورك تايمز" وترجم إلى اثنتين وخمسين لغة،

وتمّ تحويله إلى فلم، وقد أصدرت الكاتبة أجزاء للرواية لتصبح بعد ذلك سلسة من أربعة أجزاء.

الحبكة:

تبدأ أحداث الرواية في إحدى المقاطعات التابعة لدولة خيالية تتكوّن من اثنتي عشرة مقاطعة، بعد أن تمّ إزالة المقاطعة الثالثة عشرة تماماً من مكانها بسبب تمرّد أفرادها، تبدأ الرواية يوم الحصاد، وهو اليوم الذي يتم فيه اختيار فتى وفتاة من كل المقاطعات الاثنتي عشرةَ، ليكون بذلك عددهم جميعًا أربعةً وعشرين، يتم جمعهم في إحدى الغابات ليتقاتلوا بينهم البين حتى الموت، ولا ينجو إلا واحدٌ فقط من بينهم جميعاً، ليتم بعد ذلك إعادته إلى مقاطعته حاملاً العطايا والخير، وليتم بعد ذلك الإغداق على تلك المقاطعة بكل الخيرات.

تصحبنا الروائية خلال جزء كبير من الرواية إلى تفاصيل تلك الرحلة القتالية التي سيخوضها المقاتلون، بدءاً من إعدادهم للمعركة وإمدادهم بمختلف مصادر الرفاهية، الأكل والتدريب واللبس، لينتقلوا بعد ذلك إلى النقيض تماماً، حيث الألم الجسدي والنفسي، الناتج عن القتال، والذي يتم دون إرادة من المقاتلين، وإنّما عن إجبار وقهر، فسياسة دولتهم القائمة على ترويع مواطنيها قد أجبرتهم على ذلك لإبقاء جميع المواطنين في حالة

خنوع دائم، ولكي لا يفكّر أي فرد من أفراد تلك المقاطعات بالتمرّد كما فعلت مقاطعة رقم (13) والتي تمّ محوها تماماً.

بالرغم من أنّ طبيعة المعركة تلزم الفتية والفتيات بالتعامل مع بعضهم البعض بوحشية، إلّا أننا سنجد أنّ طبيعتهم الانسانية ستفرض نفسها في بعض المواقف، خاصة أنّهم لم يخوضوا تلك المعركة بإرادتهم وإنّما أجبروا عليها.

الشخصيات:

تدور معظم أحداث الرواية حول شخصية فتاة من الفتيات اللاتي يشاركن في القتال، تدعى "كانتيس".

منذ طفولتها تعوّدت كانتيس على الذهاب مع والدها إلى الغابة للصيد، وتستمر في الذهاب إلى الغابة بعد وفاة والدها لتتمكن من صيد بعض الحيوانات وقطف الفواكه؛ لتطعم أمّها وأختها، وتبيع الفائض للحصول على بعض المال الذي يمكنها من شراء باقي احتياجات الأسرة التي أصبحت مسؤولة عنها بعد وفاة والدها.

من المؤكد أنّ مهارات الصيد التي اكتسبتها كانتيس ستساعدها كثيراً في القتال، لكنّها ستجد في المعركة مهارات أخرى لدى المقاتلين الآخرين

اكتسبوها من طبيعة حياتهم والأعمال اليومية التي يمارسونها بالإضافة الى التدريب أيضاً.

من الشخصيات المهمة في الرواية أيضاً شخصية قايل، وهو صديق للبطلة كان يصطاد معها في الغابة، وبات وهو الفتى الذي تمّ اختياره للقتال من مقاطعتها.

وفي الأخير، رواية مباريات الجوع رواية شيّقة ومستفزّة بشكل كبير، فهي شيّقة لما فيها من حبكة تجعل القارئ مراقب مشدود لمعرفة الأحداث القتالية التي ستحدث في الغابة، ومستفزّة لأنّها تجعلنا نرى الفتية والفتيان يقومون بقتل بعضهم البعض دون إرادة منهم.

لأنني أُحبك: التشويق المُفعم بالإنسانية

يبهرني كثيرًا كتَّاب الروايات حين يكتبون روايات نفسيَّة، روايات يكون أبطالها أناسًا يعانون من صراعات وحروب داخلية طاحنة، تلك المشاكل النفسيَّة تظل طوال الرحلة عثرة أمامهم، عائقًا ليس من السهل إزاحته ولا حتى التعايش معه، وفي

رواية "لأنني أحبُّك"

نرى ذلك واضحًا، فلا نكاد نرى شخصية من شخصيات الرواية إلا ونرى معها عقدها ومشاكلها النفسيَّة الدفينة، ولم يخلُ من الأمراض النفسية حتى الطبيبين النفسيين اللذين تدور معظم أحداث الرواية حولهما، فهما أيضًا بالرغم من نجاحهما في عملهما وقدرتهما على مساعدة الكثيرين من المرضى، فإنهما يواجهان صعوبة في حل مشاكلهما العميقة.

ليس الجانب النفسي هو الجانب الوحيد المُبهر في هذه الرواية، وإنَّما الجانب الإنساني كان حضوره قويًّا للغاية، حضور يزرع في قلب القارئ بذرة حب الخير ومساعدة الآخرين وعدم استحقارهم مهما كانت فيهم من عيوب ونواقص.

قد يظن القارئ من العنوان أنَّ الرواية رومانسية لكنَّها ليست كذلك.

عن الكاتب:

"غيوم ميسو" هو كاتب فرنسي ولد عام 1974، درس الأدب الاجتماعي، عمِل في التدريس، أحبَّ الأدب منذ أن كان صغيرًا؛ حيث كان في صغره يقضي وقت فراغه في قراءة الكتب في المكتبة العامة التي كانت والدته تعمل فيها، اكتشف حبه للكتابة بعد مسابقة للقصة القصيرة أقامها مُدرِّسه، ولم يتوقَّف من بعدها عن الكتابة.

نشر أوَّل رواية له عام 2001 وتحمل عنوان "**Skidamarink**"، ولا أعتقد أنَّه قد تمَّ ترجمتها إلى العربية، أمَّا روايته الثانية فقد حظيت بانتشار واسع وهي تحمل عنوان: "وبعد" "**Et après**"، وقد تمَّ ترجمتها إلى أربعين لغة.

الحبكة:

في ظل ظروف غامضة تختفي "ليلى" – وهي فتاة تبلغ من العمر خمسَ سنوات – عن والديها، لم يتمكنا العثور على أيِّ دليل على اختفائها ولا أي أثر لجثة لها، ونتيجة لاختفائها يترك والدها "مارك" عمله في المستشفى كطبيب نفسي ويهيم في الشوارع باحثًا عنها فيعيش حياة التشرُّد وإدمان

الكحول لسنتين متتاليتين مُعلنًا فشله في مساعدة نفسه بعد نجاحه في معالجة الكثير من النَّاس.

وفجأة بعد هاتين السنتين يتم العثور على ليلى في نفس المكان الذي اختفت فيه، سليمة سعيدة لا تعاني من أية مشاكل، كما أنَّها لم تتحدث عمَّا حدث لها، بل اكتفت ببعض المعلومات القليلة، الغامضة والصادمة في نفس الوقت، هُنا يسعى الأب لفهم حقيقة اختفائها، أين كانت؟ ومع منْ؟

الشخصيات:

لم تتوقف أحداث الرواية وما فيها من تشويق على قصَّة «ليلى» فقط، بل تضمنت الرواية شخصيات عديدة فريدة من نوعها:

كونور:

طبيب نفسي صديق قديم لوالد الفتاة، يعاني هو نفسه – بالرغم من نجاحه الباهر – من نقطة سوداء بداخل أعماق قلبه، وماضٍ صادم. صداقة كونور بوالد ليلى ليست صداقة عادية، بل صداقة عميقة تحمل في طيَّاتها مواقف من تلك التي غيَّرت حياة الصديقين تغييرًا جذريًّا وجعلت صلتهما عميقة، لذلك فكونور يبذل جهدًا غير بسيط لمساعدة صديقه

لتغيير حياته للأفضل وترك حياة الشوارع والعودة للعمل معه في العيادة التي يملكانها.

إيفي:

فتاة مراهقة تحاول سرقة شنطة كونور، وتفشل في ذلك، وبدلًا من أخذها إلى الشرطة أو على الأقل كرهها وزجرها، نرى كونور يشفق عليها ويسعى لمساعدتها ونصحها للتغيير نحو الأفضل، فقد استطاع فهمها بشكل عميق جدًّا.

تكشف لنا الرواية بعد ذلك ماضي إيفي الأليم، الذي صنع لها هدفًا غير أخلاقي تسعى لتحقيقه، فتجوب الشوارع باحثة عن الهدف. وبينما هي في إحدى هذه الجولات، تجد كتابًا مُلقًى على الأرض، يخص الطب النفسي ومؤلفه هو الطبيب كونور، قرأته وتأثرت به. ولكنها لم تتعرف على الطبيب حينما حاولت سرقة شنطته.

أليسون:

وريثة غنية جدًّا، وتحاول التوقف عن تعاطي المخدرات والقيام بالفضائح، والدتها متوفاة، أمَّا والدها فقد كان يقوم بمحاولات يائسة لمساعدتها على التغيير، وكانت إحدى تلك المحاولات أن أهداها كتاب الطب النفسي نفسه الذي كان لدى إيفي، ونصحها بزيارة الطبيب الذي كتب الكتاب وهو

كونور، فهو يعلم أنَّ في قلب ابنته جرحًا عميقًا جدًّا، سيستطيع ذلك الطبيب معالجته.

التشويق:

لم يكن معرفة ماضي ليلى وما حدث لها في غيابها هو عنصر التشويق الوحيد في الرواية، بل معرفة إلى أين ستقود الحالات النفسية أصحابها؟ وما إن كان مستقبلًا بإمكانهم التغير أم لا؟ وكيف سيحدث ذلك التغير؟ والأخيرة كانت نقطة التشويق الأكثر جذبًا وإثارةً للاهتمام في الرواية.

شيء واحد جعلني أشعر بالملل فيما قبل النهاية، وهو أنَّه عندما بدأت ليلى تتحدث عن الماضي وتعطي تلميحات، ترك الروائي قصتها واتجه للحديث عن كونور وإيفي وأليسون بإسهاب، وصحيح أنَّ قصتهما كانت مثيرة للاهتمام، لكنَّ حماسي لمعرفة ما أوشكت ليلى على الحديث عنه، قد جعل القصتين أقل جذبًا في ذلك الموضع.

في الأخير، رواية لأنني أحبُّك رواية متقنة من مختلف النواحي، لها نهاية صادمة غير متوقَّعة، تتحدث عن موضوعات نفسيَّة مختلفة، لعلَّ أهمها: الرغبة في الثأر، وتأنيب الضمير لأحداث الماضي، وأجمل ما في الرواية أنَّها مُشبَّعة بالإنسانية، فعندما سرقت إيفي شنطة الطبيب لم يعاملها كسارقة وإنَّما عاملها كإنسان، وكذلك عندما قابل مارك أليسون، تلك الوريثة

الثرية مدمنة المخدرات، لم يهتم بمالها، ولم ينفر منها لإدمانها وفضائحها الأخرى، وإنَّما تعامل معها أيضًا كإنسان يُعاني، فبذل جهدًا لمساعدتها.

لذلك، أنصح كثيرًا بقراءة الرواية، خاصة لمن لديهم اهتمام بالروايات النفسية والإنسانية.

المريضة الصامتة: عن التأثير النفسي للطفولة

قد تفعلُ بنا رواية ما يفعله بنا الوقوع في الحب؛ والحب أعمى، لكنّه جميل، لا بد وأنّه أجمل شعور عرفته البشرية، الوقوع في الحب يسلب عقولنا، يفصلنا بشكل كبير عن الواقع الذي نعيش فيه، الوقوع في الحب يُسبِّب الإدمان؛ يدمن المُحب محبوبه، يبحث عنه، يراقبه، يتذكّره بعد النوم، وقبل الاستيقاظ، في لحظات الهدوء، وفي أوج الازدحام أيضًا، هذا ما حدث لي وأنا أقرأ رواية «المريضة الصامتة»، فقد شدّت انتباهي بالكامل، وتعلّقت بها كما يتعلّق الطفل بأمّه فترة الفطام.

نبذة عن الرواية:

تدور أحداث الرواية حول معالج نفسي «ثيو»، يتّجه إلى مستشفى يُطلق عليه الكاتب «ذا غروف»، لمعالجة مريضة اسمها «أليسيا»، وهي سيدة قتلت زوجها الذي كانت تعشقه ولا تتصور أن تعيش من دونه، وبعد قتله دخلت في صدمة جعلتها تتحول من امرأة مسالمة إلى امرأة عنيفة، ومن امرأة عادية إلى امرأة صامتة صمت مطبق، وعلى أثر كل ذلك تمّ إدخالها مستشفى الأمراض النفسية.

هنا يأتي دور المعالج النفسي لخوض التحدي الكبير، لجعلها تنطق وتتحدث حتى تحكي قصّة مقتل زوجها، وتشير إلى القاتل، وما إن كانت هي حقًا منْ قتلته ولماذا، أمّ أن هناك شخصًا آخر قد قام بذلك، وما الذي يجعل امرأة تحب زوجها بجنون تقوم بقتله بالرغم من أنّها تعترف في يومياتها بأنّه كان سندها وأنّه بذل كثيرًا من الجهد لمساعدتها لتجاوز اكتئابها وحالتها النفسية السيئة؟

لم تعبّر المريضة بأيّ أسلوب بعد وفاة زوجها سوى بوسيلة واحدة، وهي رسم لوحة لصورة ذاتية، كتبت لها عنوانًا في الأسفل: "ألسيستيس"، وهو اسم بطلة أسطورة إغريقية ضحّت بحياتها لأجل زوجها، فيقرر المُعالِج فهم تلك اللوحة والأسطورة، فلربّما ساعدته في فهم ومعالجة المريضة.

أثناء قراءتي للرواية تذكّرت جملة قالها لي أستاذي في الجامعة، يحمل دكتوراه في علم النفس، حيث قال، إن لكل شخص على وجه الأرض عقده النفسية. ففي الوقت الذي كان المُعالج النفسي في الرواية يسعى لعلاج المريضة الصامتة، كان هو نفسه يذهب إلى معالجة نفسية يستفيد من نصائحها لعلاج نفسه ومريضته، فهو نفسه لم تكن طفولته جميلة، مما يُوجِد تشابهًا بينه وبين المريضة التي يعالجها.

كما كانت أيضًا له مشكلة شخصية مع زوجته، وتؤدي تلك المشكلة إلى كشف

تفاصيل من أعماقه النفسية. وهنا تتشابك آلام طفولة المريضة مع آلام طفولة المُعالج،

فيجلس معها على نفس الطاولة ليستمع الى صمتها وليحدّثها عن نفسه أيضًا.

عن الكاتب:

كاتب الرواية هو "أليكس ميكاليديس"، وهو كاتب بريطاني ولد ونشأ في قبرص، يحمل شهادة الماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كامبريدج، وشهادة ماجستير في كتابة السيناريو من معهد الفيلم الأمريكي "**American Film Institute**"

وتُعد "المريضة الصامتة" هي روايته الأولى، وقد وصلت إلى قائمة نيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعًا في عام 2019، ونشر الكاتب رواية أخرى عام (2021)، وهي تحمل عنوان "**The Maidens**". ولم تتم ترجمتها إلى العربية بعد.

الشخصيات في الرواية:

يبحث المعالج عن ماضي المريضة كأنّما يجري تحقيقًا معها في قضية وليس كمعالج يقوم بمهمة علاج، خلال ذلك يتجّه إلى كل الأشخاص الذين كان لهم دور ما في حياة المريضة، وكل شخص منهم يحكي له ما

يعرفه عنها، من دون أن يعلموا أن لها يوميات كتبت عنهم فيها، لذلك كان كل منْ يتحدّث يقول ما يريد، وليس ما حدث بالفعل، وهُنا يستمتع المعالج باستفزازهم والضغط عليهم بعد أن يبلغهم أنّها قد ذكرتهم في يومياتها، ليقولوا أكثر مما كُتب، فهم لا يعلمون ما كُتب بالضبط.

تنوّعت تلك الشخصيات بشكل يجعلها مثيرة للاهتمام، فهناك الجارة النرجسية، وابن العمة العالقة في حياة صعبة، وأخو الزوج الذي كان شديد الغيرة من أخيه ويرغب في تملّك ما يملكه ويؤذي زوجته، وصديق المريضة المهتم بأعمالها الفنيّة.

ولم تكن الشخصيات التي دارت حول المريضة هي الشخصيات الوحيدة المثيرة في الرواية، بل حتى الشخصيات التي داخل المصحة أيضًا كانت مثيرة للاهتمام، وتنوّعت ما بين أطباء ومُديرين متعاونين وغير متعاونين، ومرضى تختلف مشاكلهم النفسية وشخصياتهم من مريض إلى آخر، يجتمعون معًا على نفس غرفة الطعام ونفس طاولة الاجتماع، بطريقة ربما تجعل من الصعب التمييز بين المريض والطبيب والمدير.

أمّا عن ضمير السرد في الرواية، فتُنقل الرواية على لسان شخصين: الأول هو المُعالِج نفسه وهو الجزء الأكبر من الرواية، والثاني وهو الجزء الأصغر، المريضة نفسها، عبر يومياتها التي كتبتها قبل قتل زوجها.

الحبكة:

عندما كتب ميكايليديس روايته، لم يُركِّب جملها وكلماتها وأحداثها بشكل عفوي، وإنّما ركّبها كما يتم تركيب قطع «البازل»، بعناية فائقة جدًا، وبأسلوب تسلسلي مملوء بالصدمات والأحداث المفاجئة، فقد أبى أن يعطي القارئ البيانات الأساسية لأحداث الرواية وشخصياتها دفعة واحدة، وإنّما قسّمها إلى قطع صغيرة جدًا،

تحتوي كل قطعة على كمية غير بسيطة من فاتح شهية شديد المفعول، مما يجعل القارئ

ينتظر بعد كل قطعة القطع التي تليها، ليغوص في بحر من التشويق لا قاع له.

شيء واحد لم يعجبني في الرواية، وهو أنّ الكاتب قد نسج خطوط الحبكة بطريقة مُتقنة وغامضة ومثيرة جدًا للاهتمام، لكنّه في آخر الرواية لم يربط جميع الخيوط، وإنّما ترك بعضها متدليًا هكذا لا تصلنا بشيء.

وليس الأسلوب التشويقي الذي انتهجه الكاتب هو العنصر الوحيد الذي يجعل القارئ يتعلّق بها، وإنّما أيضًا اهتمام البطل وخوضه في أعماق النفس البشرية، وحديثه عن التأثير العميق لطبيعة الحياة التي عاشها الإنسان في الطفولة، وكيف أنّ العلاج عن طريق مساعدة المريض هي

أفضل وأكثر جدوى من العلاج بالأدوية، فالأدوية على الرغم من أنّها تعطي مساحة آمنة للمريض ومن حوله فإنّها تُخفِّف حدّة المشاعر لدى المريض مما يؤدي إلى صعوبة علاجه.

ختامًا، يمكن اعتبار رواية «المريضة الصامتة» قطعة أدبية متميزة للغاية، فالكاتب استطاع ببراعة أن يجمع بين مختلف عناصر الرواية بأسلوب مبهر، فالحبكة مُتقنة ومدروسة بشكل رائع، والأسلوب الوصفي جميل جدًا، يُجسّد الشخصيات والأحداث بتفاصيل تجعلها تبدو كحقيقة أمامنا.

حظك اليوم: الموت المحتوم

تبهرني أعمال أحمد خالد توفيق، فكثيراً ما يسخى علينا خياله الواسع بأعمال متفرّدة، وما قرأت له سابقاً قرأته بعد ما سمعت عنه، أمّا هذه المرة، فكُنت على عجالة من أمري، أقلّب في تطبيق الكتب المسموعة (ستوري تل)، باحثة عن عمل جديد بعد أن انتهيت من سماع رواية (النباتية) لهان كانغ.

ولأنّ أكوام الصحون على المغسلة كانت تنظر إليّ بلؤم، فلم يكن يجدي أن أطيل التقليب، كان بالإمكان أن أضع الهاتف جانباً وأبدأ بغسل الأطباق، لكنّي لا أُريد لدماغي أن يُستهلك في التفكير من القتل، طالما أنّي لا أنوي –سأنوي مستقبلاً– كتابة رواية جريمة.

كان اسم الكاتب يكفي، أحمد خالد توفيق، لم أقرأ سوى عنوان الكتاب "حظك اليوم" ثمّ بدأت بالاستماع، هل كان أحمد خالد توفيق يغسل الأطباق مثلي ومثل أغاثا كرستي، حمداً لله، إنّي أملك غسّالة أطباق، فالصحون التي لا يمكن وضعها في غسالة الأطباق لا تكفي للتفكير في جرائم قتل مكتملة، فقط تجعلني أصل إلى منتصف الجريمة ثمّ اتوقّف، في إحدى المرات كُنتُ أمسك بين يدي كيس أنوي وضعه على رأس امرأة وأحكم

إغلاقه بشدة لمنع دخول الهواء إليها فتموت، لكنّها بسرعة أمسكت به بيديها وقطعته، أكملت آخر طبق، وتركت الجريمة مثلما هي، دون أن أجد طريقة قتل أكثر نضجاً..

"حظك اليوم" ما هو حظي اليوم مع هذه الرواية أو القصة التي لم أسمع عنها من قبل؟ لقد كان حظاً موفقاً ولله الحمد، رواية أو قصة؟ سأعتبرها رواية بسبب تعدد الشخصيات والأمكنة.. ولا شأن لي بحجمها..

رواية جميلة، مكتوبة بأسلوب إبداعي جميل، لابد أنّ أحمد خالد توفيق كان يغسل الأطباق، أنا متأكدة من ذلك، تدور أحداث الرواية حول اثني عشر صحفي ينتظرون حتفهم على أبراجهم، فمن ينتمي إلى برج السرطان سيموت بمرض السرطان، ومن ينتمي إلى برج الحمل سيموت بدبوس لبروش عليه صورة حمل.. وهكذا..

كل هذا يحدث لهم بعد أن قاموا بفضح رجل اسمه عدنان، كان ينبئ الناس بمصائرهم عبر أبراجهم، ولأنّ الصحفيين كانوا يؤمنون بأنّ ما يقدمه خرافات، كتبوا عنه في المجلة التي يعملون بها، وفضحوا عمله، مما أدى به إلى الإفلاس والانتحار في الأخير، ليصلهم بعد ذلك خطاب منه، يحمل عنوان: (برجك سيقتلك).

يستهينون بالخطاب في البداية، ولكن بعد توالي موت أحدهم تلو الأخر يتيقّنون أنّ كل ذلك لم يحدث بالصدفة..

أحداث مشوّقة تتوالى وحبكات مكتوبة بإتقان تتتابع لرواية جميلة وقصيرة جداً تستحق القراءة... أو الاستماع..

احتراقات: كلمات كالرصاص

قبل قراءة المجموعة "احتراقات" كنت أتابع بعض القصص القصيرة جداً التي تنشرها الكاتبة عبر صفحتها في الفيسبوك، والتي كانت في حدّتها وتركّيزها كالرصاصة التي تُطلق إلى الهدف فتصيبه تماماً، لذلك كنت متأكدة قبل أن أباشر بقراءة المجموعة أنّها مجموعة متميزة لا نظير لها.

أخبرتني الكاتبة بأنّ الكثير من القصص في المجموعة قد فازت بمسابقات ثقافية مختلفة، وحقيقةً أرى أنه يجب أن تظل المجوعة تتوّج بالفوز باستمرار سنة بعد سنة، فالمجموعة تحفة فنية؛ فسيفساء احتوت قطع فنية صغيرة متعددة الألوان والأشكال، جُمعت في كتاب واحد، فأصبح كتاباً متفرداً بهياً لا نظير له، وأتوقع أنّ كل من يعيد قراءة المجموعة سيخوض تجربة جديدة في كل مرة يقرأها، وكأنّما يقرأها للمرة الأولى، ولن يمل اطلاقاً.

أحببت في المجوعة تعدد الرواة داخل القصص، فتارةً نجد القصة على لسان نص وتارةً أخرى على لسان ميّت.

من أكثر القصص التي نالت إعجابي قصة جنون، وهي حقاً قصة مجنونة كما يشير اسمها، أعدتُ قراءتها مراراً تلذذاً بها، كذلك قصة انسلاخ؛ قصة عميقة جداً، ومؤلمة، كتبتها الكاتبة بأسلوب رشيق جمع خفة قلمها مع ثقل الألم في مكان واحد، هناك أيضاً قصة عون تلقيت داخلها صدمة رهيبة جداً، أمّا قصة ندوب، فقد وجدتُ بداخلها قصة طويلة جداً حُكيت في كلمات قليلة جداً مليئة بالألم والقهر، ولم تنسَ الكاتبة أن تبهجنا بأسلوبها المتفرّد واختارت أن تكون تلك البهجة في قصة عنونتها بـ "فلك"، وبشكل عام عناوين القصص كان عمل ابداعي بحدّ ذاته..

فخورة جداً وسعيدة بأن تصدر كاتبة يمنية عمل بهذا الإبداع، وأتوقّع أن نرى من الكاتبة أعمال أخرى في غاية الجمال، واضح أنّ نوعها الأدبي سيكون مختلف في المرّات القادمة وهو ما ألمحتْ إليه الكاتبة في آخر الكتاب بأسلوب بديع جداً قائلة:

"أكتبُ على خاصرة الحرب، فإن كُنتم تقرؤونني الآن أنا ق. ق. ج. مفخخة وإن أضعتني يوماً فستجدني قد انفجرتُ على شكل قصيدة.. وربما رواية".

غرفة تخص المرء وحده: الأدب للجميع

تتجوّل فيرجينيا وولف بصحبتنا نحن معشر القراء بين أرفف مكتبة جامعة كمبريدج.، تختار كتاب، تتصفّحه على الطاولة، متصفحة في عقلها أيضاً صفحات لا تنتهي من الانطباعات والأفكار..

عن ماذا كانت تبحث؟ وماذا تتصفح الكاتبة البريطانية فيرجينيا وولف في كتابها: "غرفة تخص المرء وحده"؟ وقبل ذلك: من هي فيرجينيا وولف؟

الكاتبة:

وُلدت فيرجينا وولف في عائلة عرفت بالعلم والجمال، فوالدها كان كاتباً، وأختها رسّامة، أمّا والدتها فقد عُرفت بجمالها وجمال الأسرة التي انحدرت منها..

لم تكن حياة فرجيينا وولف سعيدة إطلاقاً، فقد زار شبح الموت أسرتها كثيراً حتى لقد بدا أنه سيعيش معهم الى الأبد، بعد أن سلب منها أمّها ثمّ أختها ثمّ والدها، وأخيراً أخوها..

وقد أصيبت هي بمرضٍ نفسي خلال مرحلة من مراحل حياتها..

وآخر ما قامت به كتتويج لحياتها هو أنّها ملئت جيوبها بالحجارة، وألقت بنفسها في نهر بالقرب من منزلها، بعد أن كتبت رسالة غاية في الجمال إلى زوجها..

فما هو موضوع الكتاب؟ وما الذي كانت تبحث عنه بين أرفف مكتبة جامعة كمبريدج؟

كانت فيرجينا بحب وعناد وحزن تُجري بحثاً عن (النساء والكتابة) تُريد أن ترى ما توصّلت له النساء في عالم الكتابة قديماً وحديثاً، متأملة العوائق التي كانت تقف في طريقهن، أبرزها: وجود مكان خاص تكتب فيه المرأة دون أن يتم مقاطعتها، ومبلغ من المال تحصل عليه باستمرار، وقد قالت عبارتها الشهيرة: "إنّه إذا أرادت المرأة أن تكتب الأدب فيجب أن تكون لها غرفة تخصها وحدها وبعض المال".

خلال ذلك البحث كانت تراقب تطور النساء في الكتابة، وقد رأت أنّ كتابات النساء في البداية قد اقتصرت على الروايات ثمّ تطوّرت بعد ذلك لتشمل باقي العلوم، وليصبح عدد الكتب التي كتبتها النساء مقارب لعدد الكتب التي كتبها الرجال.

سؤال تبادر إلى ذهني: ماذا لو قمت أنا في هذا العام، أي بعد بحث فيرجينا بمائة عام تقريباً بالبحث عن الكتب التي كتبتها النساء في اليمن، عمَّا انتجته المرأة اليمنية في عالم الأدب والسياسة والعلوم والاقتصاد

والأعمال، هل سأجد عدد مقارب لما انتجه الرجال؟ هل المرأة اليمنية تكتب؟

هل هناك نماذج بارزة لنساء يمنيات كاتبات؟

أم أنّ وضع المرأة اليمنية في وقتنا الراهن أسوأ من وضع المرأة الأوروبية قبل مائة عام –في مجال الكتابة–؟

تفترض فيرجينيا وولف وجود أخت لشكسبير، تسميها جوديث، جوديث عبقرية مثل أخيها شكسبير، وتؤلف فيرجينيا قصّة جوديث، كيف كان من الممكن أن تكون حياتها وسعيها وراء إبداعاتها، بالطبع وفقاً لظروف المرأة في ذلك العصر.

تضع فيرجينيا سيناريو وهمي لشكل الحياة التي ستعيشها جوديث، فتُظهر لنا كمية المصاعب والمعوقات التي ستمنعها حتماً من الوصول إلى ما وصل إليه أخوها شكسبير، من تلك المعوقات أنّه لن يُتاح لها الدراسة ولا السفر ولا حتى الوقت.

من الملاحظات الجميلة التي قالتها فيرجينيا في الكتاب وهذه الملاحظة ستُفيد جميع الكاتبات إذا ركّزن عليها، وهي أنّها وجدت في الأدب الذي تكتبه المرأة ما يشوهه، وهو الغضب، فعندما تكتب المرأة وهي غاضبة يكون إنتاجها سيء، ولابد من وجود السلام والتصالح الذاتي حتى يكون الإنتاج الأدبي رائع، وقالت أنّ ذلك التصالح موجود لدى الكاتبة البريطانية

جين أوستن، فكتاباتها تُعطي مثالاً رائعاً للأدب الذي تكتبه المرأة، ذكرت أيضاً مزايا أُخرى لكتابات أوستن، فقد كانت تكتب كامرأة دون أن تكترث كثيراً لما يُريد الآخرون أن يروه في كتاباتها، وإنّما تقول ما أرادت قوله حقاً، بخلاف الكاتبات الأخريات اللاتي يكتبن بينما يضعن أعين الآخرين على حروفهنّ، فيقمن باستمرار بليّ أقلامهنّ لتناسب ما يريده الآخرون، مما يؤدي إلى التقليل من جودة ما يكتبن.

في الكتاب تروي لنا فيرجينيا حدث حصل معها، وهو منعها من قبل الحارس من المشي على النجيل في جامعة كامبريدج لأنها لم تكن طالبة فيها، حيثُ أنه لم يكن مسموحاً بالمشي على النجيل سوى لطلاب الجامعة، كما أنّه لم يكن في ذلك الوقت مسموح للنساء دخول المكتبات إلا مع ولي أمر أو بخطاب رسمي من الجامعة، وقد قالت في ذلك الموقف عبارتها الشهيرة:

"إنّ الأدب للجميع ولن أسمح لكم، حتى لو كُنتم حراساً للكليات في الجامعة، أن تنحوني عن السير على النجيل فلتغلقوا وتوصدوا مكتباتكم دوني ولكن لا يوجد باب، ولا قفل ولا مزلاج تستطيعون به أن تقيدوا حرية عقلي"

وترى وولف أن وجود غرفة تخص المرأة وبعض المال ضروري جداً لكي تكتب الأدب.

في النهاية، دعت الكاتبة النساء للسعي وراء تحقيق أهدافهن في الكتابة، فالأعذار قد زالت وتغيّر الوضع، ووُجدت كلّيات النساء وأصبح بإمكانهن كسب المال.

ختاماً، الكتاب جميل يؤازر المرأة ككاتبة بالذات في مسيرتها التي غالباً ما تكون محاطة بالتحدّيات والعوائق، ويدفعها للمضي قُدُماً، ويُلخص الدروس المستفادة من تجربة الكاتبات الأُخريات مثل أوستن، بالرغم من أنّها كانت تُخفي أوراقها التي تكتب فيها عندما يدخل أحدهم إلى غرفة المعيشة التي تكتب فيها إلا أنها استطاعت إنتاج أعمال أدبية خُلّدت.

نساء صغيرات: حيثُ الحُب والأمل والحياة

الكاتبة:

لويزا ماي ألكوت هي كاتبة أمريكية عاشت في الفترة ما بين 1832 و1888 في جو أسري بسيط يغلبه الفقر تنقل لنا إلكوت والتي تسمي نفسها في الرواية "جو" قصتها مع أخواتها الثلاث "ميغ"، "بيث" و"إيمي" بالإضافة إلى أمها وأبيها الغائب كثيراً في الحرب.

لكل فتاة في الأسرة من الأخوات الأربع، طباعها وشخصيتها وموهبتها المختلفة عن الأخريات، فمنهن الرسّامة والكاتبة، وعازفة البيانو ومدبّرة المنزل، يشتركن جميعهنّ في محبة الأم التي لم تتوقف ولو للحظة عن إغراقهن بالمحبّة والاهتمام والحنان والتشجيع على مساعدة الآخرين، كما يشتركن في الشوق لوالدهن، كل فتاة تتمنى لو كان لدى الأسرة الكثير من النقود لتستطيع شراء كل ما ترغب به، وفي مواجهة مع الحياة يسعين لكسب المال، أمّا الكاتبة بطلة الرواية "جو" فقد كانت الأقل طموحاً بينهنّ في ما يخص الماديات، وبالرغم من ذلك فقد استطاعت كسب بعض النقود من التدريس ومن الكتابة أيضاً، لكن لم تكن رحلتها في مجال الكتابة

جميلة دائماً، بل واجهت الكثير من الإحباطات التي دفعتها في بعض الأحيان إلى التوقف كثيراً عن الكتابة، لدرجة أنّها في إحدى المرّات استنكرت إقبال القراء على ما تكتب، عندما ناقشت والدها في ذلك أخبرها ما مضمونه أنّ صدق كلماتها هو ما يجذب القرّاء للقراءة لها، استفادت فيما بعد من قوة الصدق تلك في كتابة هذه الرواية، حيثُ لم يكن الكتاب سوى قصّة الأسرة الحقيقية، مع إجراء بعض التعديلات وتغيير النهاية، كما تمّ أيضاً تغيير المزيد عند نقل الكتاب إلى عمل سينمائي.

كان للأسرة جار غنّي يعيش مع حفيده "لوري"، تُصادق الفتيات لوري، ومن خلاله يرين حياة أكثر رفاهية من الحياة التي يعشنها، يجد لوري عند أسرة الفتيات الكثير مما يفتقده في قصره الضخم، يحدث حينها توافق من نوع آخر بين الفقر والغنى.

لم تكن العلاقة بين الأخوات مثالية دائماً، بل كان يحدث بينهن بعض المشكلات وسوء الفهم، لكن سرعان ما تعود المياه إلى مجاريها، وتصبح العلاقة بينهنّ أكثر ودّاً، وتزداد قوةً ومتانة مع الأيام.

الجميل في كتاب نساء صغيرات أنّه مكتوب بأسلوب بسيط، أو ربّما تمّ تبسيطه في النسخة المترجمة، وبساطة القصة جعلتها مناسبة للأطفال أيضاً، لذلك فقد تمّ أيضاً إنتاج عمل كرتوني له، لم تنشر الكاتبة الرواية دفعة واحدة، وإنّما نشرت الجزء الأوّل وبعد مطالبةً القراء بمعرفة ما يحدث

لاحقاً للشخصيات كتبت الجزء الثاني الذي يحمل عنوان: "زوجات صالحات"، تمّ بعد ذلك وضع الجزأين في كتاب واحد حمل عنوان الجزء الأوّل: "نساء صغيرات" يوجد في ١٨٠ صفحة في النسخة المترجمة إلى العربية.

ختاماً، الرواية جميلة، بسيطة وتحفيزية تأخذنا عِبر أحداثها في جولة أُسرية مليئة بالحُب والدفء، حيثُ نرى تطلعات أفراد الأسرة وطموحاتهم وطريقتهم في مواجهة الحياة، وكل ذلك يشعل الأمل في القارئ ويوقظ فيه حس التفاؤل.

اقتباس:

"امرأة في بيت وحيد، تبدو كبيتِ شعر حزين، تتطلع إلى حبٍ كبيرٍ آتٍ في يوم صيفٍ ماطر"

السيدة إنجلاند: رواية دافئة دفء البيت ودفء الحياة العادية

أهداني والدي هذه الرواية، ولأن والدي ليس من محبي قراءة الروايات فلم أتفاءل بها كثيراً، فكرت: رُبّما رشحها له صاحب مكتبة لا يملك فكرة عن ذوقي في اختيار الروايات..

وضعتُ الرواية في مكتبتي المنزلية لموعد غير معلوم، لكنّه الحدس، في إحدى مقابلاتها قالت الروائية الكويتية بثينة العيسى بأنها قارئة تقليدية، تنتقي قراءاتها بحسب ما يقودها إليه حدسها، وجدتني أشترك معها في هذه النقطة، أنا أيضاً يقودني الحدس، ليس في اختيار ما أقرأ فقط ولكن في الكثير من أمور الحياة، وقد قادني هذه المرة عندما كُنت أقف أمام مكتبتي باحثة عما سأقرأ إلى اختيار رواية لم أكن مسبقاً متأكدة من أنني أرغب في قراءتها: السيدة إنجلاند.

ويا لسعادتي بحدسي هذه المرة! فالرواية جميلة للدرجة التي جعلتني أعيد النظر في الأدب الكلاسيكي، الذي قُلتُ عنه سابقاً في إحدى فعاليات نادي القصة أنّه يجب أن نتجاوزه، تبنّيت وجهة النظر تلك بعد انبهاري بعدد من الروايات التي استُخدمت تقنيات رواية حديثة في كتابتها، لكن ها

هي الرواية التي تبدو كلاسيكية تقليدية إلى حدٍ ما تأسرني وتجعلني أتلهف لوقت القراءة اليومي لأتابع قراءتها، ولابد أنّه الأسلوب هو ما أعطاها كل هذا الجمال، بالإضافة إلى أجواء الرواية الرائقة، البعيدة عن الفذلكة، والدراما الجامحة، رواية نسمع بداخلها صوت المطر والفناجين، ونشم رائحة الخبز والأكل، رواية دافئة دفء البيت ودفء الحياة العادية لأي إنسان يعيش حياة غير تعيسة.

أضافت إليها الروائية شيء من الغموض التشويقي، والذي لم تعتمد عليه منفرداً لربط القارئ بالرواية.

تتحدّث الرواية عن مربية أطفال تنتقل من مدينتها إلى إحدى القرى لرعاية أطفال إحدى العائلات الغنية التي تدير مصنع نسيج بالقرب من منزلها، تأتي المربية حاملةً في قلبها سر دفين من أيام الطفولة تتمنى عدم كشفه للآخرين، تتفاجأ فور وصولها بدور الأم الذي يكاد يكون معدوم في العناية أو الاهتمام بأبنائها، وتتعاطف مع الأب، الحنون والمظلوم من قِبل زوجته – كما يبدو للمربية في البداية– الجدير بالذكر أنّ الرواية فازت بجائزة المرأة للأدب لعام ٢٠٢٢.

لعلّ أهم درس خرجت به من الرواية هو ألا نحكم على الآخرين، ولا ننظر لحياتهم بحسب ما نراه من بعيد.

وما تعلمته ككاتبة هو أنّ أسلوب السرد عنصر مهم جداً في كتابة الروايات، رُبّما هو العنصر الأكثر أهمية، فبالرغم من كبر حجم الرواية إلا أنني لم أشعر بالملل أثناء قراءتها.

النباتية: عن الجانب الخفي من المجتمعات الشرقية

تدور أحداث الرواية حول امرأة تقرر فجأة ودون مقدمات أن تُصبح نباتية، يجدها زوجها تجلس على أرضية المطبخ، تقوم بكبّ جميع أنواع اللحوم الموجودة في الثلاجة في سلة القمامة، يحاول بعدها أن يتعايش معها على ذلك النمط، وحين يجد أن التغيرات أسوأ مما توقّع يشتكيها إلى أهلها اللذين يقومون بتعقيد الأمور أكثر، وهكذا ينفصل عنها، لتعيش أولاً في شقة بمفردها، ثمّ يتم نقلها بعد ذلك إلى مستشفى الأمراض النفسية.

الرواية لا تتحدّث عن النظام الغذائي النباتي وتأثيره على جسم الإنسان وكيف يعيش النباتيون حياتهم، بل تتحدّث عن حالة مرضية لامرأة تقرر في البداية ترك أكل اللحوم وكل ما له صلة بها كالبيض والأجبان، لتصل لمستوى أعلى من ذلك وهو كره الاقتراب من زوجها لأنها تشعر أنّ ريحته نفس ريحة اللحوم، لتصل لأسوأ من ذلك وهو التوقّف تماماً عن الأكل، حيثُ تعتقد أنها شجرة، وليست بحاجة سوى إلى الماء للبقاء على قيد الحياة والنمو، وتظل بوضعية مقلوبة، منتظرة أن تنبت منها الأزهار.

إذا لم تتحدّث الرواية عن حياة النباتيين فعن ماذا تحدّثت؟

أعتقد أنّ الرواية تتحدّث عن مدى وحشية المجتمعات الشرقية ضد الفرد الذي يقرر تغيير نمط حياته إلى نمط حياة غير معتاد، ورُبّما تحاول الرواية إيصالنا إلى درس واحد مفاده: أنّ الإنسان مخلوق أناني بطبعه، ولا يهم كل فرد من أيّ فرد آخر سوى مصالحه، فإذا اختفت مصالحه اختفت العلاقة.

أعجبني في الرواية طريقة تنقلها بين الأحداث الماضية والحاضرة، حيث كانت الروائية "هان كانغ" وهي روائية حاصلة على جائزة نوبل للآداب ٢٠٢٤، تتجاوز بعض الأحداث إلى الأحداث التي تليها، ثمّ تعود فيما بعد إلى الأحداث التي تجاوزتها.

ما شدني لمتابعة الرواية هو الفضول، فقد كنت متشوقة جداً لمعرفة ما تريد الروائية قوله من خلف السطور، على الرغم من أن أسلوب الروائية كان عادي جداً ولا جديد به، أو ربما الترجمة قد ظلمته –لا أعلم–، وربما أسهبت في تقديم التفسيرات في بعض المشاهد التي لم يكن هُناك داعٍ لتفسيرها حيثُ أنّها واضحة.

خان الخليلي: صورة قريبة للحي المصري

تتحدث رواية خان الخليلي لنجيب محفوظ، عن أسرة مكوّنة من أب وأم وأخوين، الأخ الأصغر يعمل في مكان آخر، ولا يظهر في بداية الرواية، ولكنّه يظهر فيما بعد، ويقلب كل الأحداث، تنتقل الأسرة من حي إلى حي آخر، من حي السكاكيني إلى خان الخليلي.

يصوّر لنا الكاتب كيف تتأقلم الأسرة مع البيئة الجديدة، وكيف يندمجون مع سكّانها، وتتشكل حياتهم. بدأت الرواية تُرينا كيف تتأقلم الأسرة مع الحي يوماً بعد يوم، إلا أنّ بعد مرض وموت الابن الأكبر في ذلك الحي، كرهت الأسرة الحي وقرروا الانتقال منه.

أَحَبّ بطل الرواية شيء لم يحبه من قبل، وهو جلسات المقاهي، وكيف بدأ يندمج، ويكسب حياته شيئاً جديداً، وتشدّه نفسه إلى اللقاء بجيرانه، وتبادل الأحاديث المختلفة معهم.

رُبّما أسهب الكاتب في عدد الصفحات التي تحدّث بها عن مرض وموت الابن الأكبر "رُشدي" لأنّ الرواية تتحدث عن الانتقال والتأقلم، وليس عن مرض السل والموت.

يأخذنا الكاتب في الرواية إلى قلب الأحداث، ويدمجنا نحن القراء أيضاً مع الحارة، ويجعلنا نألفها ونطمئن إليها، وإلى طيبة سكّنها، كما يستطيع أيضاً إغراقنا في الألم، وجعلنا نبكي ونذرف الدموع لموت رُشدي، ومن ثمّ نقوم بتشجيع الأسرة على الانتقال من الحي، للتخلص من الكم الهائل من الكآبة والبؤس الذي عايشوه.

لم تخلُ الرواية من قصة حب، إلا أنّها كانت أليمة وشائكة، فهناك فتاة جعلت رُشدي يحب الحي، وبسببها أيضاً يكرهه في النهاية، فقد تركته حبيبته وأحبت أخيه، وقد أدرك الأخ بعد موت أخيه أنّه لازال يحبها، لكن هناك شيئان يحجبانه عنها، ذكرى أخيه المتوفّى، وكرامته، وهما شيئان لا يتخلى عنهما ولو لأجل الحب.

بالرغم من طيبة أهل الحي وسرعة اندماج الأسرة معهم إلا أنّ الشر لازال موجوداً وقد تمثّل ذلك الشر في مكان يجتمعون فيه يسمّونه (الغرزة)، التي استمال بعض أهل الحي البطل إليها لتعاطي الحشيش وأشياء أخرى، فلم يستجب لهم، ولكنّه استجاب لهم في لحظة ضعف، ثم لم يُذكر في الرواية أنّه قد ذهب إليها مرةً أخرى، لعل تلك أيضاً أحد الأسباب التي نفّرته من الحيّ.

ربما هناك درس مبطّن موجود في الرواية، وهو بيان مساوئ الجبن وضعف الثقة بالذات، لقد أعطت الفتاة التي أحبّها البطل الفرصة لتحبه، لكنّه لم يكن واثقاً من نفسه، كان ينظر إليها من النافذة بخجل، دون أن يقدم خطوة واحدة جادة، ليحقق ذلك الحب، بل كانت الشكوك والوساوس تراوده، ربما لا تقبله تلك الفتاة، ربما هي لا تحبه، بالرغم من أنّها قد حيّته، فأتت بالمبادرة منها لعلّه يتشجع، لكن لم يتغير شيء وعندما أتى أخوه من السفر ورأته، وقد كان صريحاً وجريئاً معها، قبلت به، وصارت مخطوبته، بالرغم من أنّها كانت تفضّل الأول، لكن جبنه وضعف ثقته بنفسه كان الحاجز الذي يقف بينهما، وكان كثيراً ما ينظر إلى نفسه نظرةً دونية، وكم ضحّى لأجل أخيه، ونسي نفسه.

ختاماً، الرواية جميلة بما حوته من تفاصيل الحي المصري، وتفاصيل معاناة المرض والموت والحُب، صورها لنا الكاتب ببساطة وعفوية، مما يجعلنا نندمج مع الرواية للدرجة التي نُقدّم فيها النصائح لشخوصها وكأننا نعرفهم ويعرفونا.

تغريبة القافر: رحلة البحث عن الماء المحبوس في باطن الأرض

ثالث رواية عمانية أقرأها، رُبّما تميّزت الروايات العمانية بأسلوب بسيط سلس، ومالت الى الأدب التاريخي أكثر..

تُناقش الرواية موضوع لم أُصادفه من قبل ولا أظن بأنّ هناك من قد سبق وكتب عنه في المنطقة، وهو صراع الإنسان مع الماء المحبوس في باطن الأرض.. وعادةً ما يتجه الكُتّاب إلى إضافة موضوع آخر أكثر جذباً للجمهور كقصص الحب مثلاً أو العداوة والحرب، ليستند عليه موضوع الرواية الرئيسي حين يكون غير جاذب كثيراً كموضوع هذه الرواية، لكنّ كاتب هذه الرواية: زهران القاسمي لم يفعل ذلك.

بل جعل الرواية تركّز وبشدة على موضوعها الرئيسي وهو إخراج الماء المحبوس في باطن الأرض، وموضوع فرعي وهو شدّة ثرثرة أهل القرية، ومبالغتهم في نقل الأقاويل وترديدها وإيذاء كل مستضعف بها، ومقاومتهم الشرسة لكل مختلف عنهم، بالإضافة إلى خوفهم الشديد من الحسد والجن

والسحر، ونسب كل مصيبة إلى عالم الغيبيات أو (العوالم السفلية) كما وصفها الكاتب، يقول الكاتب: (لكنّها القُرى، لا يُستجّد فيها جديد، فالنّاس فيها كما عهدهم وكما تحدّث عنهم والده عبد الله بن جميل وأُمّه التي ربّته كاذية بنت غانم، يصومون عن الأكل والشرب، وقد يصبرون على الجوع والعطش، ولكنّهم لا يصبرون على الكلام)

رواية فريدة من نوعها، مكتوبة بأسلوب بسيط وسلس، خُضتُ معها تجربة قرائية مختلفة.

قبل أن تبرد القهوة: حنين الماضي والمستقبل

لعل أوّل خطوة يقوم بها الروائي حين يقرر كتابة رواية هي اختيار الفكرة، وبالطبع الفكرة لا تكفي للخروج بعمل أدبي بديع، لكنّها القالب الذي يجذب القارئ إلى قراءة الرواية، وفي خضم العدد الكبير للأعمال الروائية، يلجئ القارئ إلى الرواية التي بها فكرة فريدة، تأخذه إلى تجربة قرائية استثنائية لم يقم بها من قبل، ولعلّ هذا سبب نجاح رواية: (قبل أن تبرد القهوة) للكاتب الياباني توشيكازو كواغوشي في جذب العديد من القرّاء.

تدور أحداث الرواية في مقهى صغير واقع في أحد أحياء اليابان، في ذلك المقهى يستطيع الزبون أن يسافر إلى الماضي أو إلى المستقبل خلال فترة زمنية تتراوح ما بين، سكب القهوة في الفنجان إلى أن تبرد القهوة، وبإمكانه خلال تلك الزيارة القصيرة أن يأخذ معه هدية إلى الشخص الذي يرغب بمقابلته في الماضي أو المستقبل.

هناك شروط لتلك الزيارة؛ وهي أنّ الزيارة لن تُحدث أي تغيير على الحاضر، كما أنّه إذا وقف الزائر من مكانه على الكرسي بعد انتقاله إلى الماضي أو المستقبل، سيعود مباشرةً إلى الحاضر. وكما أنّه إذا تأخر إلى

أن تبرد القهوة لن يستطيع العودة إلى الحاضر وإنّما سيتحوّل إلى شبح، بمعنى آخر سيموت.

يجب أن يختار الزائر بين زيارة شخص قد زار نفس المقهى في الماضي إذا كان يُريد السفر إلى الماضي، أو زار المقهى في المستقبل إذا كان يريد السفر إلى المستقبل.

عند دخول الزائر المقهى لا يجلس مباشرة على الكرسي الذي سيسافر من خلاله، وإنّما يجلس على كرسي آخر منتظراً أن ينهض شبح امرأة تجلس على الكرسي الذي سيسافر من خلاله عبر الزمن، على ذلك الكرسي يجلس الشبح بهدوء يقرأ رواية، ولا يتحرك من مكانه إلا مرة واحدة فقط للذهاب إلى الحمام، وأثناء غيابه ذلك يستطيع الزبون الذهاب إلى كرسيه، لتأتي بعدها المرأة التي تعمل في المحل والتي اسمها (كازو) فتصبّ القهوة الساخنة ويسافر عندها الزبون عبر الزمن.

فكرة جميلة للرواية، نرى من خلالها المجتمع الياباني، ونعايش بشراً أرادوا الحديث إلى أشخاص اختفوا من حياتهم أو لم يأتوا بعد، نطّلع خلال صفحات الرواية على الكثير من مشاعر النوستالجيا والندم والمشاعر الإنسانية بمختلف تعقيداتها.

معزوفة المجداف: عن بلادنا المنكوبة

عندما ألقيتُ نظرة أولى إلى مجموعة "معزوفة المجداف" للكاتب فاروق مريش، وقلبت صفحاتها بين يدي، ظننتُ بأني سأقرأها في مدة وجيزة جداً، ربما نصف ساعة، ومبدئياً استغرقت وقت قراءة لها يزيد عن نصف ساعة بقليل، لكنّي لم استطع هضمها منذ المرة الأولى، لذلك أعدتُ قراءتها مرةً أخرى بتمعّن أكثر، فوجدتها مجموعة دسمة تجاوزت في محتواها عدد صفحاتها بكثير، وتنوّعت في مواضيعها للدرجة التي شعرت بعد إنهاءها بأنّي قد قرأتُ كتاباً كبيراً لا يقل عدد صفحاته عن أربعمائة صفحة، وقد أحببت في المجموعة تنوعها في تناول المواضيع، هي تتناول مواضيع مختلفة كالغربة والثورات والإهمال في المستشفيات، وتنتقل بنا من موضوع إلى موضوع مختلف تماماً.

تبدأ المجموعة بإهداء جميل، مفعم برائحة الأمل ومشير إلى الروح التي لا تستسلم؛ روح نادي القصة الذي يصر على الحضور وإقامة فعاليته رغم الأوضاع الصعبة التي تمر بها البلاد، وفي الوقت الذي يقف العالم متفرجاً على ما يحدث في هذه البلاد التي قد يتوقع من ينظر إليها من بعيد أن تستسلم، لازال الكتّاب والأدباء في الداخل يكافحون ويقفون في وجه كل الصعاب دون استسلام.

نظرات لبعض قصص المجموعة:

في المجموعة قصة بعنوان "أدوية" مؤلمة جداً وتحكي الواقع المعاش حين يذهب المرضى إلى المستشفى لمعالجة أمراض معينة فيعودون بأمراض أُخرى حملوها من المكان الذي يُفترض أن يقضي على أمراضهم، لكنّه يضاعفها..

ولربّما كان بإمكان الكاتب أن يأتي بعنوان أفضل..

تستهويني النصوص التي بها بعض الفكاهة، وقصة "جناس أدبي" كانت بمثابة فسحة داخل المجموعة، لكن الكاتب أتى بعدها بقصة استلاب؛ قصة حزينة ومؤلمة، كأنه يقول لنا لا تضحكوا كثيراً فلازال هناك الكثير من البؤس.

قصة "سلمية" أعتقد أنّها الأفضل إطلاقاً في المجموعة وأتوقّع أنّ كل من قرأ المجموعة سيوافقني على ذلك.

قصة الكيد العظيم هي أكثر قصة استمتعت بقراءتها في المجموعة، أحببت جو الصدمة الذي حدث للمراقب وهو يرى المراقبة تكشف غش الطالبات في الامتحان لنتشارك نحن معشر القراء الصدمة معه، متيقنين بأنه لا يطيح بالمرأة الا امرأة مثلها.

"مجبر ومجبّر" قصة جميلة، من أفضل قصص المجموعة، ذكرتني بمقولة "خذ الحكمة من أفواه المجانين" الجو الفلسفي الموجود في القصة يثير الدهشة خاصة أنه أتى من أفواه المجانين.

هناك بعض القصص لم أفهمها وهي:

وحدة، قبصة الاستقلال، بحر، معزوفة المجداف، مروءة، ضد مجهول بالمسك ختم القاص مجموعته وكان ذلك المسك على شكل قصة تحمل عنوان: "قامت قيامتي"

كروت وردية: المرأة كطرف أوّل

بدءاً بالقرية، وانطلاقاً إلى المدينة ثمّ الى العاصمة صنعاء، بأسلوب وصف متميّز تدور أحداث هذه الرواية في هذه المناطق الثلاث؛ في القرية ونرى شدّة ارتباط أهلها ببعضهم البعض ومساحات اللعب الواسعة للأطفال وشقاوتهم، في المدينة وقلة ارتباط رجالها ببعضهم البعض، وأخيراً العاصمة واختلافها الكامل عن باقي بقا ع البلاد، فيقول الكاتب: "العاصمة هي وجه الدولة لذلك فهي تحاول أن تبديها بشكل لائق، تحاول أن تجعل شوارعها نظيفة وخدماتها جيدة، وحتى الأشخاص اللذين يعيشون فيها يستشعرون كونهم يعيشون في العاصمة، لذلك فهم يحرصون – أغلبهم – على أن يظهروا بشكل مرتّب"

رغم أن بطل الرواية وكاتبها رجل، إلّا أن المرأة موجودة وبقوّة في هذه الرواية، وهذا شيء يحسب للكاتب.

فتبدو المرأة بقوتها الناعمة، مؤثرة وبشكل كبير في حياة الرجل، انطلاقاً من الأم والأخت، ثمّ الحبيبة، بل وحتى بائعة الهوى، ذكرني دور المرأة في هذه الرواية بدورها في رواية "مملكة الجواري" للغربي عمران..

فالمرأة في هذه الرواية ليست مجرّد طرف ثاني كما يصوّرها البعض، بل هي من تملك المقود وتؤثر بأساليبها الخاصة على حياة الرجل والمجتمع، وتنقله من حالة الى حالة، وتحتفظ بحنيتها وحنانها وشخصيتها حتى وإن كانت بائعة هوى..

رواية كتبها سالم بن سليم بأسلوب وصف جميل، قلّ ما نراه، وقد حازت على المركز الأوّل في جائزة محمد عبد الولي للرواية في دورتها الثانية.

أرض النفاق: عن وفرة الأخلاق المتاحة للجميع

في رواية فريدة من نوعها يضع يوسف السباعي فكرة لا تخطر ببال، وهي وجود الأخلاق في "شوالات" معروضة للبيع، بإمكان أي شخص بكل بساطة أن يذهب إلى البائع ويشتري من الشجاعة والمروءة والصبر الكمية التي يريد، وما إن يبدأ بتناول حبوب الأخلاق حتى تظهر عليه نتائجها مباشرةً.

يُري لنا الكاتب في الرواية أثر الأخلاق بطريقة مغايرة لما هو متوقّع، طريقة تعبّر عن رؤية الكاتب نفسه للأخلاق والتأثير الذي تؤدي إليه كثرة انتشارها.

الحبكة:

عندما يخبر البائع البطل بما يبيع في الشوالات يستهزئ به، ويستخف بعقله، ثمّ لا يلبث بعد الكثير من التردد أن يشتري منه، متسائلاً لماذا لا يشتري كلّ الناس مثله! ثمّ يتفاءل بعد الشراء من تلك البضاعة ويسرح بخياله إلى طبيعة حياته التي ستكون بعد أن يتناول من تلك البضاعة، وبالفعل يجري في دمه مفعول تلك الحبوب، وتبدأ أفكاره وتصرفاته تتغير،

وكم يجد ذلك رائعاً ومبهجاً في البداية! لكنّ النتيجة بعد ذلك تأخذ منحنى آخر لم يتوقّعه البطل.

الشخصيات:

تتمحور الرواية حول بطل واحد، وبينما يتنقّل ذلك البطل من مكان إلى مكان، نتعرّف على الشخصيّات المتنوّعة المرسومة بإتقان والتي يقابلها أثناء تنقله، فنجد مثلاً شخصية المدير الذي لا يتوقّف عن بث همومه ومشاكله مع زوجته إلى الموظّف، والجارة المنحرفة التي تسعى لإغواء جارها، كما يأخذنا الكاتب أيضاً إلى عالم المتشرّدين وما يحدث خلف كواليسه من إدارة وتنظيم في بيئة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها البطل لولا تناوله حبوب الأخلاق، كل تلك الشخصيات بجوانبها الايجابية والسلبية تُعطي الرواية جوّاً ممتعاً مليئاً بالتشويق.

المدرسة:

المدرسة التي تنتمي إليها الرواية هي الواقعية السحرية.

الإهداء :

في الإهداء خرج يوسف السباعي عن المألوف حيثُ أنّه أهدى هذه الرواية إلى نفسه.

ختاماً، رواية أرض النفاق رواية تحمل فكرة جديدة تأخذنا عبر صفحاتها للتفكّر في وفرة الأخلاق من زاوية مختلفة، ومن الجدير ذكره أنّ الرواية قد حملت الكثير من عنصر الفكاهة، مما جعلها أكثر إمتاعاً وإن كُنت قد وجدت أنّ هناك القليل من الابتذال في المشاهد الفكاهية، ويتخلل الرواية عنصر التشويق الذي تحمله الشخصيات الثانوية المتنوّعة بتوجهاتها المختلفة.

حليب أسود: قطعة من أدب المذكّرات الجميل

أسعد كثيراً حين أجد رواية أو كتاب يتحدّث عن شيء أمر به، شيء ما يمثلني لكنّه على لسان غيري، فتتحدث لسانه بالنيابة عن لساني..

لذلك شدّتني كثيراً مذكّرات حليب أسود للروائية أليف شافاك، بعد قراءة الكلمات الثلاث المكتوبة أسفل العنوان: (الكتابة والأمومة والحريم)، وبعد قراءة نبذة عن الكتاب وجدتُ بأنّه تحدّث أيضاً عن الاكتئاب، لذلك انجذبتُ إليه أكثر، فلديّ قصة طويلة مع الاكتئاب، لكن بعد قراءة الكتاب، وجدتُ أنّ الاكتئاب الذي تحدّثت عنه الكاتبة مختلف تماماً عن الاكتئاب الذي مررت به، لذلك لم يتحقق أحد الأهداف التي لأجلها قرأت الرواية، وهي الاستماع إلى ما مررتُ به على لسان غيري، لكن رأيت أشياء أخرى جميلة عوضتني عن هذا الإحباط.

ففي الرواية مثلاً، مثّلت شخصيتها على شكل شخصيات متعددة، نساء إصبعيات، كل امرأة فيهنّ لها شخصية مختلفة تماماً عن الأخرى، وذلك أضحكني كثيراً، ووجدت متعة في قراءة تلك الشخصيات المختلفة، التي تنضم كلها لتشكّل شخصية واحدة لشخصية الكاتبة، كان من الجميل والممتع أن تقسّم نفسها إلى كل تلك الأقسام، وأؤمن أنّ كل امرأة تتكون من عدة شخصيات، بالطريقة التي تحدّثت عنها الكاتبة..

بشكل عام، أدب المذكّرات هو أحد أنواع الأدب المفضّل لدي، لا أذكر سوى مرة واحدة أنّي قرأت مذكرات لأحدهم ولم تعجبني، أعشق التأمل في حياة الآخرين عندما يكتبونها؛ تجاربهم، انكسارهم، نجاحاتهم، الحياة الانسانية بشكل عام ملحمة بها الكثير من المواقف والأحداث التي تستحق التأمل والاعتبار، أو على الأقل التفرّج، أشعر أحياناً أنّه ينبغي على كل شخص على سطح هذه الكرة الأرضية أن يكتب مذكراته الشخصية، فعلى الأقل أبناءه والجيل الذي أتى منه سيحب قراءتها.

طمأنني كثيراً قولها أنّها تربت على العزلة والوحدة، وأنّها لم تختلط كثيراً بالناس، وذلك غيَّر المفهوم الذي كان لدي بأنّ كاتب الروايات لابد وأن يكون اجتماعياً، لكي يعرف قصص الآخرين ويحتك بها.

قوافل البخور: رحلة مع التجّار القُدامى

أثناء قراءتي لهذه الرواية وجدتُ نفسي أمام عمل أدبي عظيم، من تلك الأعمال التي لا تموت بعد مرور فترة طويلة على إصدارها، واضح جداً المجهود الجبّار الذي قام به المؤلف "صالح السحيقي" ليخرج لنا بهذه الرحلة الواضحة المعالم بما فيها من أدق التفاصيل.

لن تُفلح التكنولوجيا في اختراع آلة للسفر عبر الزمن مهما تقدّمت وانتجت من أنظمة وأجهزة حديثة، لكنّ المؤلف قد استطاع أن يقوم بذلك، أي أن يسافر بنا عبر ما يشبه آلة الزمن إلى الماضي لنتجوّل بصحبة التجّار عابرين طريق البخور، متأملّين معهم البحار والوديان والجبال والمعابد والحصون، ننصب معهم الخيام ونتناول بجانبهم الفطور ونتسامر معهم بجانب النيران المشتعلة..

هذا بالنسبة للأحداث، أمّا إذا أردنا أن نتحدث عن الشخصيات فقد جمّد الكاتب الشخصيات في الرواية، لم يأخذنا الكاتب الى أعماق تلك الشخصيات وما يجول بداخلها بتفاصيل كما فعل مع الأحداث، قد لا ننسى الرحلة بعد الانتهاء من قراءة الكتب، لكن ما أنا واثقة منه هو أننا سننسى الشخصيات، فهي لم تكن سوى ناقلة للأحداث، وحتى الحوارات

التي من المفترض أن تستخدم لكشف جوانب من كل شخصية لم تقم بذلك إلا على نحو ضيّق جداً.

لو أنّ الكاتب أدخلنا أكثر الى عالم الشخصيات لتعلقنا أكثر بالرواية ولما شعرتُ بالملل أثناء القراءة، كما أنّ الاسلوب التقريري هو ما طغى على الرواية وهذا ما جعلها تكون أقرب لكتاب تاريخي منها لرواية.

وختاماً أقول: إنّ من يكتب لنا رواية تاريخية لا يقدم لنا كتاباً تاريخاً مجرّداً نتطلع منه على الأحداث وإنّما يأخذنا لنعيش التاريخ بأنفسنا، وهذا ما قام به الكاتب في روايته التي كتبها بأسلوب سلس رأينا من خلاله تمكّن الكاتب الكبير من اللغة ومفرداتها.

الساعة الخامسة والعشرون: الرواية التي منعت في أوروبا كلّها حتى عام ١٩٤٩

رواية أليمة تنقل لنا الصور المأساوية للظلم الذي حدث في عدّة دول أوروبية، أثناء الحرب العالمية الثانية.

في رومانيا، يقوم أحد الضباط بإدراج اسم البطل خطأً ضمن قائمة اليهود، ليتم بعد ذلك إدخاله معسكراتهم. يتعرض بطل الرواية في المعسكر للأعمال الشاقة، وبمساعدة ضابط آخر يستطيع الفرار إلى هنغاريا، ولم يتم الترحيب به والتعامل معه باحترام هناك، بل يتعرّض إلى التعذيب ويُتّهم بأنّه جاسوس أرسلته رومانيا إلى هنغاريا، بعد التأكد من براءته يتم بيعه إلى ألمانيا، فقد تخلت هنغاريا حينها عن المبادئ الثلاثة التي كانت تؤمن بها والتي أخذتها من دول الجوار وهي: الإنسان، والجمال، والحق، فقد تمّ إسقاط قيمة الإنسان في صفقة بيع الرجال اللذين كان بطل الرواية من ضمنهم، فور وصوله إلى ألمانيا تلقّى معاملة مهينة وقاسية وطُلب منه أن يحتذي بالآلات في العمل، وألا يقدّم أقلّ مما تقدّمه الآلة التي يعمل بجوارها.

رواية مليئة بالألم كتبها "قسطنطين جيورجيو"، تكشف ما حدث في أوروبا في معسكرات السجون، وكيف تمّ احتقار الإنسان وإلغاء أي اعتبار لإنسانيته، وبين كل ذلك تُظهر سوداوية الحرب وما تؤدي إليه من تعرض الأبرياء للظلم والاغتصاب ونزع كل ما يملكونه من ماديات ومشاعر وكرامة، كما نرى أيضاً ما أنتجته الحياة التقنية من مأساة في التعامل مع الأفراد كأرقام، عندما لا يصبح للفرد قيمة كفرد وتصبح الجماعة التي ينتمي إليها هي الأهم.

اقتباس:

"إنني أطرح على نفسي السؤال الذي طرحه على نفسه الشاعر تودور أرغيزي:

"أكانت أمّك جنّية أم غزالة أم شجرة ورد؟ أي نبت أنضجت بين حناياها؟ أنت قطعة من الفكر أو الروح ولا شك.. إذ لا يمكن أن تكوني من سلالة الأحياء الفانيين.." إنّك باهرة الجمال، في سلالتك ونسبك شيء من الوعول، وفي عينيك نظرات السنجاب الشرود، لقد أخذت مرونتك منهما، ولعل بين سلالتك طحالب الماء، لأن جسدك، يحتفظ بنعومة هذه النباتات المائية وبنوعها. إنك أنيقة وناعمة، كفروة قط أنجورا."

هُم: رواية الجن والجنون

استخدم الكاتب وليد دمّاج في رواية "هُم" قالبي الجن والجنون لصناعة الحبكة والأحداث والسرد، وقد وفّق كثيراً في استخدام هذين القالبين اللذين مررا للرواية قدر غير بسيط من الغرائبية والدهشة.

في الوقت الذي لا يؤمن الكثير منّا بخرافة انتقال الإنس إلى عالم الجن أو تقمّص الجن للإنس، يأخذ الكاتب بهذه الخرافة –التي يؤمن بها شريحة كبيرة من أبناء المجتمع اليمني– ويستخدمها بشكل جيّد في صناعة الأحداث، فللجن تأثير في علاقة السارد بأهله وعلاقته بالآخرين، وحياته بمختلف جوانبها.

من الرائع داخل الرواية أنّ الكاتب قد تلاعب بطريقة وجود الجني داخل السارد، فتارةً نجد جنّي يسكن السارد وتارةً أخرى نرى أنّ السارد نفسه قد تحوّل إلى جنّي، ثمّ يذهب ذلك الجني أو الشبح لزيارة شخصية السارد نفسها في الماضي، فيحدث بذلك مزج رائع بين الأزمنة والأشخاص، والحقيقة والوهم..

أمّا في الجنون، فقد استخدم الكاتب سارد مجنون يهيم في الشوارع والوديان وينقل لنا انطباعاته حول النّاس والأحياء بجرأة أكبر مما لو نقلها سارد عاقل، وليكشف الستر عن عوالم، لم يكن من الممكن كشفها عن طريق إنسان عاقل لا يمتزج عالمه بعالم الجن.

اقتباس:

"بالعنف تُطوى المسافات وتختصر الأزمنة، فتأتي النتائج سريعة وحاسمة؛ لكن لا أحد يدرك أنّها نتائج ظاهرية، وأنّ ما جناه الواقع من العنف أقل بكثير مما خسره"

نائب عزرائيل: الموت من وجهة نظر ساخرة

قد يكون الموت مخيفاً للغالبية منّا، لكن في رواية (نائب عزرائيل) الساخرة يُرينا يوسف السباعي الموت كحدث غير مخيف، بل يرينا عالم ما بعد الموت كعالم طبيعي، خالٍ من أي نوع من أنواع الألم.

الحبكة:

تدور أحداث الرواية حول قصة رجل توفّى، ليكتشف بعد الموت أنّ ملك الموت (عزرائيل) قد نزع روحه خطأً، ليتركه بعد ذلك معلقاً بين السماء والأرض، ثمّ يوليه مهمة أخذ أرواح الناس بالنيابة عنه، وبدلاً من القيام بالمهمة الموكلة إليه، يسعى البطل للحفاظ على أرواح البشر، مصوراً لنا أحداثاً مضحكة ومواقف غير متوقّعة.

الشخصيات في الرواية

بالإضافة إلى الشخصية الرئيسية لبطل الرواية، والتي نستكشف جوانبها من خلال أحداث الرواية عن طريق ما يحكيه عن نفسه بينما يؤدي مهمته، وهي نزع أرواح الآخرين، يكشف لنا البطل أيضاً جوانب من صفات كل شخصية يذهب إليها، ليجعلنا نتساءل بينما نقرأ ما إذا كان أولئك

الأشخاص يستحقون الموت أو لا، وما إذا كان من الأفضل أن يُنقذ أرواحهم أو ينتزعها منهم.

كُنت أتوقّع أن تكون نهاية الرواية صادمة وغير متوقّعة، لكنّها انتهت بشكل مختلف عمّا توقّعت.

بقي سؤال يراودني طيلة الرواية وهو ما إذا كان يجوز شرعاً أن يأخذنا الكاتب بخياله إلى عالم ما بعد الموت، ويصوّره لنا بطريقة مختلفة.

ختاماً، الرواية جميلة وساخرة، وجدتُ فيها تجربة سرد مختلفة.

القتل للمبتدئين: كواليس الكتابة

كتاب "القتل للمبتدئين" لأحمد مُراد يحتوي على نصائح وتوجيهات ومعلومات لكُتّاب السيناريو، قبل البدء بالاستماع إلى الكتاب حسبته يتكلّم عن كتابة الروايات، لكن بعد أن بدأتُ بسماعه ككتاب صوتي وجدتُ أنه يتحدّث عن كتابة السيناريو، لم أتوقّف عن متابعة القراءة، فلرُبّما أكتب سيناريو يوماً ما، كما أنني وجدتُ أنّ الكتاب مفيد لكتابة الروايات أيضاً، فهُناك الكثير من النصائح والمعلومات وجدتُها مُفيدة لي ككاتبة روايات، وقد قُمت بتسجيل شذرات من النصائح والمعلومات التي أفادتني ككاتبة روايات، وهي:

١. يشبّه الكاتب من يستمر في الكتابة بعدد بيضات السلاحف التي تنجو، فالسلحفاة تدفن ما يُقارب المائة بيضة على الشاطئ، لكن الطيور والسرطانات تأكل منها، ولا ينجو في الأخير سوى خمس أو ست بيضات، تفقص وتدخل المحيط، كذلك الكُتّاب، فعدد الذين يدخلون مجال الكتابة كبير لكن لا يبقى منهم سوى القلة القليلة.

٢. يجب على الكاتب ألا يتوقّع أن حياته قبل الكتابة ستكون نفسها بعد الكتابة، فالكتابة تحتاج الكثير من الوقت والجهد، وحتى أوقات الفراغ التي جعلته يتجه إلى الكتابة سيضطر إلى التخلي عنها.

٣. الفكرة بدون جدول زمني هي مجرّد دُخان في الهواء، ففي الكتابة التسويف هو أسهل ما يحدث.

٤. ذكر الكاتب مصطلح (نفق الكاتب المظلم) وهو ما يحدث للكاتب إذا لم يخطط للعمل المُقدِم عليه، حيثُ سيحتاج بعد أن يقطع شوطاً طويلاً في الكتابة إلى تعديل الكثير من الأحداث.

٥. ينصح الكاتب بعدم استخدام الزمن إلا للضرورة، فمن غير الممكن أن يختار الكاتب أن تدور أحداث الرواية في الخمسينات لمجرد محبته لنوعية السيارات في تلك الفترة.

٦. يؤكد الكاتب أهمية إطلاق الخيال وخلق صور جديدة والتخلص من الصور النمطية، فلا يجب أن تبدأ قصة الحب من داخل المقهى.

٧. المواقف الكبيرة في روايتك اجعلها تُظهر أسوأ وأفضل ما في الشخصيّات.

الكتاب جميل، وكروائية أنصح الروائيين بقراءته، ولابد أنّه مفيد أكثر لكُتّاب السيناريو.

نخلة وبيت: عن أحلام البشر المتناثرة في أزقّة السفر

لطالما فكّرت في ضرورة وجود رواية يمنية تحكي معاناة اليمنيين في الغربة بالذات في المملكة العربية السعودية، وذلك لكثرة ما يغترب اليمنيون بالذات الحضارم إلى هناك، ولشدّة المعاناة التي نسمع تفاصيلها بشكل دائم ومتكرر، وربما تكون قد صدرت روايات من قبل تحكي هذه المعاناة التي أُجبر عليها شعب يعيش تحت خط الفقر والجهل، لكن قدّر الله أن تكون أوّل تجربة لي للقراءة عن غربة اليمني كانت مع رواية "نخلة وبيت" لعيدروس سالم الدياني، الحائزة على المركز الأوّل في جائزة محمد عبدالولي للرواية في دورتها الأولى، وقد ذكرتني الرواية كثيراً برواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني، التي تحكي معاناة الشعب الفلسطيني في السفر إلى دول الخليج لأجل البحث عن لقمة العيش.

تبدأ أحداث الرواية في جنوب اليمن في قرية ريفية من قرى اليمن المتّسمة بالقبلية، حيث يعيش السكّان على الزراعة وتربية المواشي، ويعيشون حياة بسيطة في بيوت مبنية من الطين، بدايةً، هذه الجزئية لامست قلبي كثيراً كونها تشبه بيئة حضرموت الوادي التي أنتمي اليها، تتشابه البيوت وروائح أشجار الأراك وظلال أشجار النخيل المنتشرة في كل مكان، وتربية النساء للأغنام، لكن التفاصيل التي وجدتها فيما بعد قد أبعدتني قليلاً عن مشاعر

الشوق والنوستالجيا التي عشتها أثناء سيري بين سطور الرواية، وتمنيت شيء أكثر دسومة، وهو ما وجدته لاحقاً حين أخذت الرواية تصوّر أبناء القرية وهم ينسابون واحداً تلو الآخر إلى السعودية هرباً من الجوع، ليعانوا هناك مما هو أشدّ إيلاماً من الجوع: "الغربة"، ويضطرون لمكابدة أعمال تضطرهم لدفع الكثير من الجهد وبعض الكرامة أيضاً.. مما يدفعهم للعودة في الأخير..

الجدير بالذكر أنّ الرواية لا تدور أحداثها في الوقت الراهن وإنّما في الفترة التي ما قبل وبعد الوحدة اليمنية، إذ نمر عبر الرواية بمحطات للتغيرات السياسية التي تحدث، ونأخذ نظرة على حرب القبائل..

تتطرق الرواية بشكل كبير إلى موضوع العبودية وكيف أن التحرر منها قد تمّ فعلياً، لكنّ تحرر عقول الناس منها لم يتم بالرغم من مرور فترة طويلة على زمن العبودية..

رواية "نخلة وبيت" رواية جميلة وعميقة وشاعرية جداً، استمعت بقراءتها وأراها تعكس واقع الحياة في جنوب اليمن بشكل صادق.

اقتباس:

"ما أصعب أن تلم أحلام البشر، حين تتناثر في أزقة السفر، ودروبها الموحشة"

"إن كنت أنت الوحيد، فمن أكون أنا؟ غصن مقطوع من شجرة، وملقى في بحر متلاطم، كلما أراد أن يرسو ببر، أبعده الموج عن الساحل، يسبح مع التيار دائماً لا حيلة له ولا قوة"

"لماذا نتنازل كثيراً في هذه الحياة، حتى يصل الأمر لأن يتخلى أحدنا عن اسمه كما فعل خالي"

"تتنوع لهجاتنا ولكناتنا وألواننا وأحلامنا، ولكننا نتوحد في العمل، وفي الغربة، وفي الطرب، وفي الحب، وفي كره بدر ابن شيخ القصر الكبير"

"كانت ليالٍ وأيام جميلة، لن تعود، وإن عادت فلن نتمنى أن تظل كما هي، فلابد للحياة أن تتغير، ولابد لنا من أمل جديد نحيا لتحقيقه، ظنا منا أن ذلك الحلم أفضل من واقعنا الذي نعيشه حينئذ"

كالماء للشوكولاتة: حيثُ تختلط الدموع بالأطعمة اللذيذة

"كالماء للشوكولاتة" رواية لذيذة للاورا إسكيبيل، تدور الكثير من أحداثها داخل المطبخ، حيث روائح الأكل المكسيكي، وحيث تختلط تلك اللّذة بالكثير من دموع الحزن الجارية على خد بطلة الرواية "تيتا"..

والتي أحبّت شاباً يدعى روبرتو، لكنّها كانت البنت الصغرى للأسرة، وبحسب العرف الموجود عندهم فلا يسمح للبنت الصغرى بالزواج، بل يجب أن تقضي عمرها في رعاية أمها.

وبعد تقدم حبيبها لها تقترح عليه والدتها أن يتزوج من اختها "روزاورا" طالما أنّه يرغب بالزواج، وبدوره يوافق ليس رغبة في الزواج من أختها وإنّما ليبقى دائماً بجانب حبيبته "تيتا" ولا يبتعد عنها.

وهكذا تعيش تيتا في حزن يومي وهي ترى حبيبها في أحضان أختها، لكنّها رغم كل ذلك الحزن والقهر تستمر في خدمة والدتها وطاعتها،

وتقضي الكثير من وقتها في طبخ وجبات مكسيكية لذيذة، ويشيد الجميع بمهارتها الفائقة في الطبخ.

رواية تجعلنا ننظر إلى الطبخ والمطبخ نظرة حميمية مليئة بالهدوء والروقان، ولعلّ ذلك ما جعلني أندمج مع الأحداث، خاصة أنّي استمعت إلى معظمها ككتاب صوتي وأنا في المطبخ، وقد أحزنني عدم القدرة على الخروج ولو بطبق واحد قابل للتحضير بسبب المكونات المكسيكية الغريبة.

وإن كُنت أفضل أساليب الطبخ العصرية الأكثر سهولة، إلا أنني أحببت الطريقة المطولة لتحضير الأكل التي تتم عندهم، فهم مثلاً يجهزون المربى بدلاً من شراءه معلباً، وإذا ما أرادوا طبخ الدجاج فهم يذهبون أولاً إلى الفناء لإحضار الدجاجة حيّة ومن ثمّ يذبحونها، فكل شيء هناك تقريباً يتم تربيته في المنزل؛ كالدجاج والحمام وطيور السمان والخنازير والخراف، وإذا ما احتاجوا إلى ذبح الدجاج ومن ثمّ حفظه لفترة طويلة لا تتجاوز الأسبوعان يحشونه بالقمح ومن ثمّ يدفنونه تحت الأرض.

الجدير بالذكر أنّ الرواية مكتوبة بأسلوب الواقعية السحرية.

اقتباسات من الرواية:

"أمي...! كم أحنُّ لمذاقها، لرائحة طبخها، لأحاديثها وهي تُعد الطعام، ولكعك عيد الميلاد! لستُ أدري لماذا لا تخرج الكعكة معي مثلما كانت تصنعها هي؟"

"إذا كنا جميعنا نولد وفي داخلنا فسفور بمقدار علبة من ثقاب، فإننا لا نستطيع أن نشغلها وحدنا، بل نحتاج، كما في التجربة، إلى أكسجين ومساعدة شمعة قدح"

"عندما يدور الحديث عن الطعام، وهو أمر بالغ الأهمية، لا يمكن إلا للحمقى أو المرضى أن لا يولوه ما يستحقه من الاهتمام".

متشرداً في باريس ولندن: محطات صادمة من حياة جورج أورويل

قد تبدو لنا حياة الناجحين ميسّرة أكثر مما نتوقّع بكثير، لكن من يقرأ رواية "متشرداً في باريس ولندن" بعد أن يسمع أو يقرأ للكاتب جورج أورويل سيغيّر قناعته تماماً.

تدور أحداث الرواية في باريس ولندن.

بدايةً في باريس، في هذا الكتاب لن نرى باريس ببرجها وعطورها وفنها الذي طالما سمعنا عنه، بل سنرى الجزء الخلفي من المدينة؛ حيث يوجد الفقر والقذارة والجوع بأشنع صوره، سنرى السكارى والعاهرات وذانك الزوجين اللذين لم يغيرا ملابسهما منذ أربع سنوات..

كاتب بحجم "جورج أورويل" يجد نفسه بلا نقود بعد أن تخلى عنه الطلاب الذين كان يعطيهم الدروس دون أن يدفعوا مستحقاته، يجد أنه لا يملك حتى قيمة ما يأكل فيضطر إلى بيع ملابسه إلا ما يلبس بثمنٍ بخس.

ذهب بعد ذلك إلى صديق له اسمه بورس يعمل نادلاً في مطعم قد أخبره مسبقاً أن يأتي إليه متى ما احتاج مساعدة، لكنّه يجد صديقه يعرج

وفي حالة يرثى لها لشدة ما يعاني من الجوع، بعد أن تم فصله من عمله بسبب إصابة حدثت له وأدت إلى عرجه، وبدلاً من البحث عن عمل وحيداً يصبح صديقه رفيقاً له في هذه المهمة، فينطلق الاثنان للبحث عن العمل، كانا يمضيان الساعات في الانتظار في مطعم أو فندق دون جدوى، وكان بورس رجلاً متفائلاً جداً، ففي اليوم الذي لم يعثرا على عمل أخبر أورويل أنّ (الحظ يتغير) ثمّ وعده بأنهما سيحصلان على عمل في اليوم التالي، لكن تمّ رفضهما كثيراً فلا يوجد من يريد توظيف رجل أعرج وآخر دون خبرة.

وصل بهما الفقر لدرجة أنّهما لم يجدا المال لشراء ورق مقوى يطويان به ملابسهما لكي يرهناها، حيث لم يقبل بها الرجل الذي يرهن الملابس غير مغلّفة.

بعد محاولات مضنية للبحث عن عمل وجدا عمل في الفندق، وكانت سعادتهما كبيرة جداً، وكانت طبيعة عمل أورويل القيام بنقل الطعام إلى غرف النزلاء وتنظيفها، خلال ذلك يتعرض بشكل مستمر للإهانة بسبب بعض الأخطاء التي يقوم بها، ويستمع باستمرار إلى الكثير من الشتائم.

كان جورج أورويل يقضِمُ الثلج بينما يعمل في المطبخ ليخفف عن جسده حرارة المكان التي تسببها مواقد الطبخ، ويُجبر على العمل أيّام إجازته،

وبعد انتهاء العمل يستلقي هو وزملاؤه منهكين للدرجة التي لا يستطيعون الذهاب لشرب الماء، كما كانوا يتعرّضون أيضاً للخداع من قبل بواب الفندق الذي يختلس من نقودهم.

يحكي لنا أورويل في كتابه هذا الفرق الشاسع بين المكانين اللذين يفصلهما بابٌ مزدوجٌ واحدٌ، وهو ذلك الباب الذي يفصل بين صالة الطعام وما بها من مفارش بيضاء، ومزهريات وصحون وأرض غاية في النظافة عكس الجهة الأخرى خلف الباب؛ فهناك عالم بائس ممتلئ بالقذارة حيث يوجد عمّال المطعم وغسلة الصحون، حيث الأرض المتسخة والطعام المداس ورائحة العرق، وبيّن في الكتّاب كيف يغيّر أولئك النادلون هيئتهم وأسلوبهم وألفاظهم قبل الدخول إلى صالة الطعام، وذكر أيضاً أنّه يوجد في ذلك العالم طبقات، فالطبّاخ أعلى رتبة من غاسل الصحون.

يُسهب أورويل في الحديث عن كمية القذارة في الفندق الذي يعمل فيه والذي كان يُعتبر واحد من الفنادق الاثني عشر الأغنى في باريس.
بعد ذلك ينطلق أورويل إلى لندن، وقبل ذلك يصل إلى انجلترا، في انجلترا يسكن في مكان يسموه "سبايك" وهو مبنى مشترك يعيش فيه المتشرّدون، ويذهبون إلى الكنيسة للحصول على الطعام، وقد تعرّض في ذلك المسكن للتحرّش.

عندما وصل لندن كان يتجوّل في الشوارع لساعات طويلة بحثاً عن مكان ينام فيه، تذكّر حينها أيّام باريس وكيف أنه كان في باريس يستطيع الجلوس على الأرصفة إذا ما شعر بالتعب، أما في لندن فذلك ممنوع وقد يؤدي به إلى السجن، اتجه بعدها للنوم في الملجأ، وكان يلقى صعوبة في النوم حيث أنّ هناك شخصاً كان يمر بحالة عصبية تجعله يصرخ بالليل، بالإضافة إلى امتلاء تلك الأماكن باللصوص وبالإمكان التعرّض للسرقة في أي لحظة.

في الشارع وحيث الفقر والتشرد نرى شخصيات مثيرة للاهتمام؛ فهناك رسَّام الجدران الذي يرى نفسه متميزاً ويحتقر البقية ويؤمن أن البؤس غير سيء، وهناك غاسل الصحون المتفائل الذي ينظر إلى الحياة نظرة ايجابية مهما عانى من جوع ولم يجد عمل.

من الأشياء المحزنة التي ذكرها الكاتب وجود من يفضل رمي الأكل – مثل بعض المخابر – على إعطاءها للمتسولين..

في نهاية الكتاب يتحدّث الكاتب عن المتشردين وسبب تشردهم، ويقول إنّ الفكرة السائدة في أنّ المتشرّد يتشرّد لأنّه يريد ذلك هي فكرة خاطئة، وكما أنّ المتشرّد ليس وحشاً خطر ينبغي الحذر منه، بل هو إنسان قرر

التشرّد لأنّه لم يجد حلاً أمامه سوى الجوع أو التشرّد، كما قال إنّ القليل جداً من المتشردين خطيرون، فهم أكثر الناس مسالمة وخنوع..

اقتباس:

"قصتي تنتهي هُنا، إنّها قصة تافهة تماماً، شأن يوميات السفر. أستطيع القول، على الأقل، هُنا العالم ينتظرك..."

ملحمة الحرافيش: الواقع من وجهة نظر غير مُبالغ فيها

ملحمة الحرافيش رواية لنجيب محفوظ تحوي عشر حكايات لعشرة أجيال، كل جيل يأتي من الجيل الذي قبله، أي أنّ أول قصة تتحدث عن الأب، والتي بعدها عن الابن والثالثة عن الحفيد، ثم ابن الحفيد، وهكذا. نشرت الرواية في عام ١٩٧٧.

في أول قصتين أو ثلاث لم تُعجبني الرواية كثيراً، فحبكة الرواية لم تشدني، خاصةً أنّ لكل قصة حبكتها الخاصة، لكن وبعد أن دخلت في القصص، بدأت أندمجُ مع الرواية والأشخاص وأستمتعُ بقراءتها، والحبكات المتعددة بدأت تتصل ببعضها البعض، فكانت الحبكات كأنّها حبكة واحدة، فحين بدأت أرى التغيرات التي تحدث لأسرة آل ناجي، وأرى ذلك التشابه الخفي بين الأجيال، والذي يظهر بشكل ربما غير مباشر، رأيت بوضوح العمق الموجود في الرواية.

أعجبني في الرواية الإشارة إلى جانبي الحياة المتضادين؛ الخير والشر، دون التركيز على أحدهما وترك الآخر، كان عاشور الناجي "البطل الأول للرواية" رجل شهم ومحبوب في الحارة، وله الكثير من الصفات العظيمة، إلا أنّه ارتكب أيضاً بعض الأخطاء، كان له أحباء وأعداء أيضاً.

رفض عاشور الناجي وآخرين غيره بناء "بوظة" في الحارة، لكن لم يكن بأيديهم وقفها، فاستمرّ الشر بالرغم من وجود الخير أيضاً واستمراره. كانت البوظة مركز الشر في الحارة، فكل من انحرف، أو أراد الانحراف اتجه إليها، وبالرغم من ذلك لم يتم إغلاقها، بل استمرت في كل الأجيال، مركزاً للشر لا يزول.

احتوت الرواية على مصطلحات جديدة، مثل: البوظة، الكارو، الغرزة، النبوت، الفتوة، الإتاوات..

ثم تتابعت القصص، وكنت أبحث في تتابعها عن شيء جديد، عن اهتمام للجيل القادم، يختلف عن اهتمامات الجيل الذي قبله، عن هجرة لآل الناجي، أبطال القصة، لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، فقد أصبحت القصص تتشابه كثيراً: قتل، هروب، رجوع، زواج، خيانة، زواج من الثانية، ربح، خسارة، وبدا جلياً أنّ اهتمامهم العملي كان بالتجارة، فلم يكن هناك في قبيلة آل الناجي طبيباً مثلاً، أو مهندساً أو شاعراً.. كانوا

إما تجاراً أو فقراء، يقدّسون الفتوة، ويحظون بها في فترة ما.. إذاً كل القصص العشر تحوي على نفس الأحداث، وكنت في كل قصة أبحث عن شيء جديد ومختلف لكنّي لم أجده، لذلك شعرتُ بالملل وأنا أقرأها، ولولا أنّها رواية لنجيب محفوظ لما استمررت في قراءتها.

تساءلت كثيراً لماذا جعل منها عشر قصص؟ لماذا لم يكتفي بأربع أو خمس؟، كانت ستقوم بنفس الهدف الذي قامت به العشر، هل أراد أن يرينا بوضوح أكبر استمرار الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة؟ وأنّ الدنيا ستستمر هكذا.. وأن الأسرة الغنية ستتحول إلى فقيرة، والفقيرة إلى غنية، وسيأتي من نسل الشخص القوي شخص ضعيف، ثم يأتي غيره شخص قوي وهكذا..

باختصار، الرواية تجعلنا نتأمل وننظر في مختلف جوانب الحياة، بطريقة غير مباشرة، ومكررة تكرار وقوعها في أرض الواقع، ربما أراد الكاتب أيضاً إيصال رسالة إلى القارئ فحواها لا تغتر بالدنيا، ولا تكن كمن قال: "ما أظن أن تبيد هذه أبداً.."، هذه الرسالة وصلتني، وهي أعظم فائدة خرجت بها من الرواية.

لا أعلم لماذا أطلق على الرواية اسم ملحمة الحرافيش؟ لا أرى وجود الحرافيش بقوّة سوى في نهاية الرواية.

ختاماً:

الرواية جميلة، تجسّد الواقع بحقيقته دون مبالغة، وربّما ستكون أجمل لو أنّ الكاتب قلل عدد الحكايات التي بها.

اقتباسات من الرواية:

"وهكذا مضت السنون، بخير لا يُذكر، وشر لا يُحصى"

"ولكنك بريء، والبراءة فريسة الأوغاد"

"تسقط الأمطار فوق الأرض ولا تتلاشى في الفضاء. وتومض الشهب ثانية ثم تتهاوى. والأشجار تستقر في منابتها ولا تطير في الجو. والطيور تدوم كيف شاءت ثم تأوي إلى أعشاشها بين الغصون. ثمة قوة تغري الجميع بالرقص في منظومة واحدة.. لا يدري أحد ما تعانيه الأشياء في سبيل ذلك من أشواق وعناء، مثلما تتلاطم السحب فتنفجر السماء بالرعود"

المحتويات

الأيام: مذكرات الصبر والعناد 5
سيّدات القمر: أوّل رواية مترجمة من العربية تفوز بجائزة المان بوكر العالمية 10
مباريات الجوع:عبثية الحياة في ظل الأنظمة الديكتاتورية 16
لأنني أُحبك: التشويق المُفعم بالإنسانية 20
المريضة الصامتة: عن التأثير النفسي للطفولة..... 26
حظك اليوم: الموت المحتوم 32
احتراقات: كلمات كالرصاص 35
غرفة تخص المرء وحده: الأدب للجميع 37
نساء صغيرات: حيثُ الحُب والأمل والحياة 42
السيدة إنجلاند: رواية دافئة دفء البيت ودفء الحياة العادية 45
النباتية: عن الجانب الخفي من المجتمعات الشرقية 48
خان الخليلي: صورة قريبة للحي المصري 50
تغريبة القافر: رحلة البحث عن الماء المحبوس في باطن الأرض ... 53
قبل أن تبرد القهوة: حنين الماضي والمستقبل 55
معزوفة المجداف: عن بلادنا المنكوبة..... 57
كروت وردية: المرأة كطرف أوّل 60
أرض النفاق: عن وفرة الأخلاق المتاحة للجميع 62
حليب أسود: قطعة من أدب المذكّرات الجميل 65
قوافل البخور: رحلة مع التجّار القُدامى 67

الساعة الخامسة والعشرون: الرواية التي منعت في أوروبا كلّها حتى عام ١٩٤٩ 69
هُم: رواية الجن والجنون 71
نائب عزرائيل: الموت من وجهة نظر ساخرة 73
القتل للمبتدئين: كواليس الكتابة 75
نخلة وبيت: عن أحلام البشر المتناثرة في أزقّة السفر 77
كالماء للشوكولاتة: حيثُ تختلط الدموع بالأطعمة اللذيذة 80
متشرداً في باريس ولندن: محطات صادمة من حياة جورج أورويل. 83
ملحمة الحرافيش: الواقع من وجهة نظر غير مُبالغ فيها 88

تنويه

لا يُسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه إلا بإذن خطّي خاص ومسبق من المؤلف

https://nazeir.com

جَـولة
اِستجمَاميَّة
مَع الكتب

أقبَعُ في منزلي معظم الوقت مُنعزِلة عن العالم وما يدور فيه، لم أسافر كثيرًا، ولم أرَ أوربا، ولم أُعايش العظماء ولا القادة ولا المجرمين؛ ولكني عبر القراءة أتجوَّل في عوالم مختلفة كثيرًا عن عالمي. حين أنظُر إلى حياتي أراها ضيِّقة والكُتب لا توسِّعها وتُزهِرها فقط، بل تُضيف إلى حياتي الكثير من الحيوات، فأصبحت "أُحب الكتب؛ لأن حياة واحدة لا تكفيني" كما قال عباس محمود العقاد.